الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

كليـــــــــة الآداب وفنـــــــون

قسـم اللغـــة العربيـــة و آدابـــــها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي

تخصص نقد حديث و معاصر

اثر الاستشراق في الادب العربي الحديث

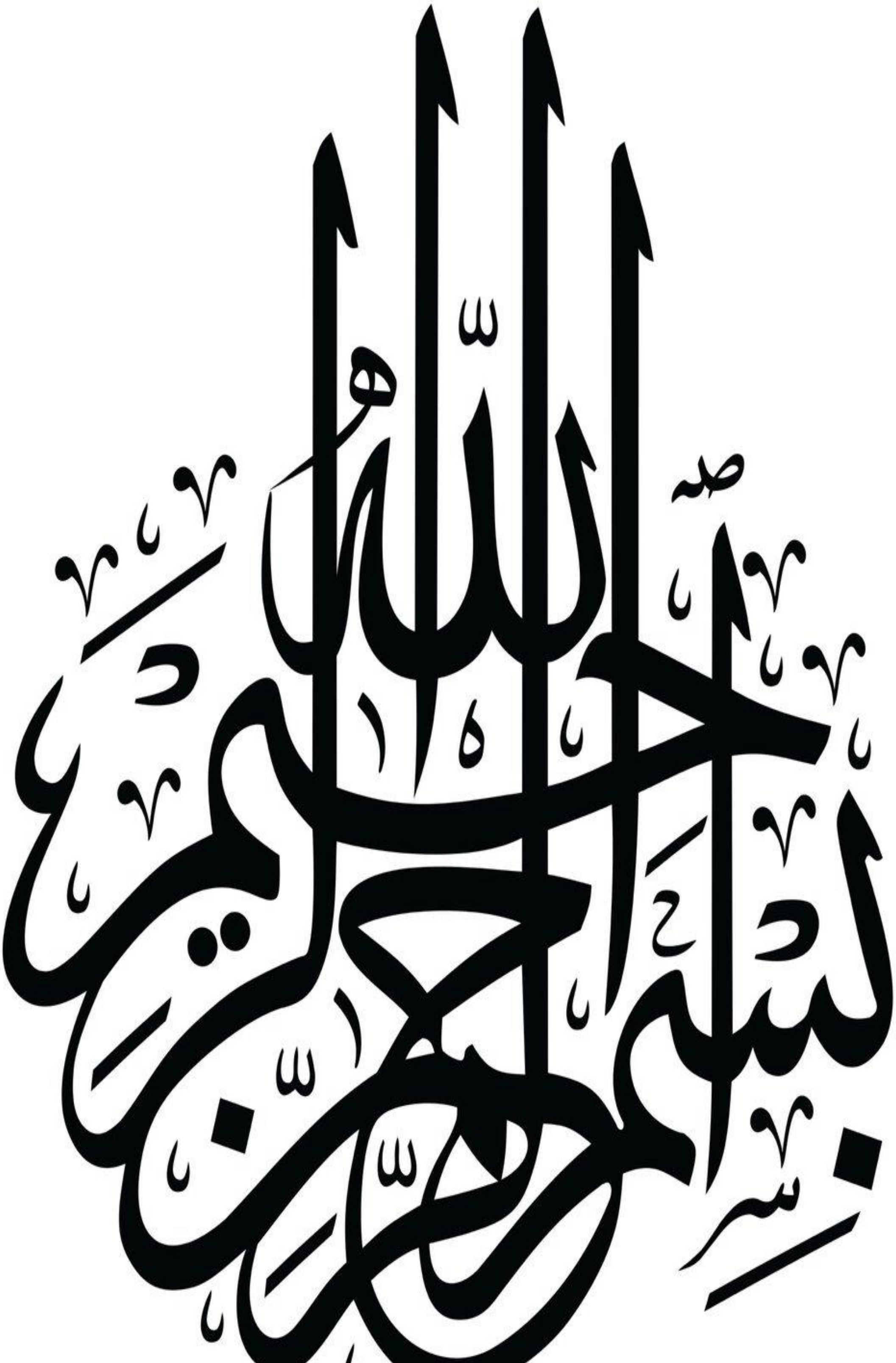
من إعداد الطالبة

عواد حياة

الأستاذة المشرف

د/ حنيفي بن ناصر

السنة الجامعية : 2018/2017


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

شكر جزيل و امتنان فاضل إلى الأستاذ الفاضل **حنيفي بن ناصر**

الذي لم يبخل علي يوما بتوجيهاته و نصائحه و تذليل

بعض العقبات التي واجهتني أثناء انجاز هذا البحث

و نشكر كافة أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها

و شكر إلى كل من ساهم من بعيد أو قريب في انجاز هذا البحث

و منه سبحانه نستمد العون و الهداية و نسأله السداد و التوفيق

إهداء

قال تعالي" و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا "

صدق الله العظيم

اهدي ثمرة جهدي إلى من وجدتهما حين طلبتهما إلى من نشأت بين أحضانهما

إلى من حملتني وهن على وهن **أمي** نبع الحنان و مصدر السعادة و دواء كل سقم

إلى **أبي** الذي أنار لي دروب الحياة و اطعم عقلي بالعلم و الإيمان

أطال الله في عمرهما و أمدهما بالخير و البركات

إلى إخوتي و كل أفراد العائلة و كل الأهل و الأقارب

إلي الأخت فاطمة و الأخ يوسف

إلى الأستاذ المشرف "حنيفي بن ناصر"

إلى خريجي هذه الدفعة

إلى كل الذين حملهم قلبي و لم يدركهم قلمي

الحمد لله حمد الشاكرين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

لعب الإستشراق دورا خطيرا في حياة الأمة الإسلامية عبر قرون طويلة أخذ العلوم و الفنون و الآداب عن العرب و نقلها إلى الغرب حيث أقام عليا دعائم نهضتهم و بلغ ما بلغه من التقدم و الازدهار، ثم نقل الكتب القديمة و المخطوطات العربية وغيرها، و صار الإستشراق علما له منهجه و فلسفته و أتباعه و معاهده.

فكثيرًا ما يرد هذا المصطلح في المجلات و الصحف و حتى الكتب، فهناك من ذمه و هناك من مدحه و تأثر به.

و من هنا نطرح الإشكالية الآتية:

ما مفهوم الإستشراق؟ متى نشأ؟ و ما الدوافع التي دفعته إلى ذلك؟

و ما المناهج التي انتهجها؟ و ما هي أبرز خصائصه و مدارسه؟.

و كيف كان أثره في الأدب العربي الحديث ؟

و إن ما دعاني لاختيار هذا الموضوع هو رغبتي في الاطلاع على الجوانب الخفية لهذه الظاهرة و فضولي حول معرفة كيف تناول الغربيون علوم العرب و آدابهم و كيف تأثروا بها و أثروا فيها، إضافة إلى كون الإستشراق قيمة في غاية الأهمية من حيث الجانب المعرفي و التاريخي، تستوجب مني و من غيري بعض الاهتمام.

و من هذا المنطلق، يستوجب المقام في هذا الموضوع أن يتوزع هيكله إلى مقدمته، مدخل فصلين و خاتمة.

أما المدخل فهو بمثابة توطئة إلى الدراسة، حمل عنوان الإستشراق (النشأة و التطور) عالجنا فيه مفهوم الإستشراق و نشأته و محاولة ضبط هذا المصطلح على الرغم من صعوبته صعوبة ضبط تاريخيه الحقيقي حيث أيضا الأطوار التي مر بها تاريخه الطويل.

و في الفصل الأول و الذي بدوره ينقسم إلى أربعة مباحث، فحاولنا التعمق أكثر في الموضوع، فتناولنا فيه اتجاهات الإستشراق، كالاتجاه الديني و العلمي و هذا يندرج ضمن المبحث الأول لهذا الفصل، أما المبحث الثاني فقد خصصناه لذكر المناهج التي اعتمدها المشرقون في دراساتهم و لقد تعددت حسب طبيعة المواضيع التي بصدد دراسته و حسب اتجاهات أصحابها، كما شمل أيضا مبحثا ثالثا و التي نعرض فيه مجموعة من الخصائص التي تتسم لها الدراسات الإستشراقية لتشكل بعد ذلك إلى عرض الإستشراق التي تشير إلى العرض المنشود و المستفاد من الدراسات الإستشراقية لعلوم و آداب العرب و ما أكثرها (دينية، عسكرية، سياسية...).

أما الفصل الثاني فكان بيت القصيدة في بحث هذا ارتابت تقسيمه إلى ثلاث مباحث، فتحدثت في المبحث الأول عن الوسائل و الأساليب المتبعة من طرف المستشرقين لتحقيق أهدافهم وصولاً إلى ميادين تأثير الإستشراق في الأدب العربي الحديث و في المبحث الثالث تناولت طبيعة تأثير هذا الأخير فرأيت أن طبيعة تأثيره ترجع إلى جانبين هامين هما جانب منهجي و أخر موضوعي.

و كانت الخاتمة حوصلة لأهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة و تماشيا مع طبيعة الموضوع، فقد ارتأيت بالمنهج التاريخي الوصفي أما بخصوص مكتبة البحث، فقد تنوعت ما بين المصادر و المراجع التي كان جلها خاص بالإستشراق لعل أهمها.

- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر".
- محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية".

و ككل بحث أكاديمي لابد للباحث أن يواجه عراقيل كثيرة و صعوبات جمة كندرة المصادر والمراجع و هذا راجع ربما إلى عدم ذيوع هذا الموضوع في الدراسات العربية و كذا صعوبة تناوله.

ختاما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من له العون في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد، في مقدمتهم الأستاذ المشرق حنيفي بن ناصر، أعزه الله و أطال في عمره الذي كان له الفضل في رعاية هذا البحث حتى استقام و الشكر الأول و الأخير لله سبحانه.

كثيرا ما يتردد على ألسنة الخطباء و في الصحف و المجلات و في الكتب كلمة استشراق و بخاصة عندما يكون الحديث عن الغزو الفكري أو الثقافي و آثاره السيئة، و قد بالغ البعض في ذم الإستشراق و كل ما يمت إليه بصلة، أن الإستشراق إنما هو جهد علمي لدراسة الشرق، و بخاصة بعض الذين تتلمذوا على أيدي بعض المستشرقين حيث يرون فيهم المثال في المنهجية و الإخلاص و الدقة، و غير ذلك من النعوت المادحة، فما معنى هذه الكلمة ؟[1] مع العلم أن الإستشراق أصبح اليوم علما له كيانه و منهجه، و مدارسه و دراساته و مؤلفاته، و أغراضه و أتباعه، و معاهده و مؤتمراته، فصار حقا على الباحث أن يعني بتحديد مفهومه و الوقوف على معالمه البارزة، و آفاقه و مظاهره و أطواره، و خصائصه و أهدافه قبل البحث في آثاره و ميادين نشاطه[2].

كما يجب التفريق بين مصطلحي الإستشراق، و الاستعراب في كون هذا الأخير، علم يختص بدراسة حياة العرب و ما يتعلق بهم من حضارة و آداب و لغة و تاريخ و أديان، و له مدارسه و خصائصه و أصحابه، و أتباعه، و منهجه و تاريخه و أهدافه، فالمستعرب هو عالم ثقة في كل ما يتصل بالعرب و بلاد العرب أو باللغة العربية و الأدب العربي، و تثقف بثقافتها و عنى بدراستها[3].

أما ماهية مصطلح الإستشراق فتكن فيما يلي:

أولا: مفهوم الإستشراق:

أ) مفهومه لغويا:

إن كلمة "الإستشراق" مشتقة من مادة "شرق" يقال: "شرقت الشمس شرقا و شروقا إذا طلعت".[4]

[1]- مازن مطبقاني: "الإستشراق" نقلا عن الموقع: www.algidah.com/vb/shawthread.php? t : 2382

[2] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م ص21

[3] - المرجع نفسه، ص 34.

[4]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 21.

و هذه الكلمة لم ترد في المعاجم العربية المختلفة، و ليس معنى عدم ورودها في المعاجم اللغوية منع الباحث من الوصول إلى المعنى الحقيقي استنادا إلى قواعد الصرف، و علم الاشتقاق، حيث يبدو أن معنى "استشراق": أدخل نفسه في أهل الشرق و صار منهم.

تقول بعض المصادر اللغوية الحديثة: استشراق: طلب علوم الشرق، و لغاتهم "مولدة عصرية" يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة، فالمستشرق هو عالم متمكن من المعارف خاصة بالشرق، و لغاته و أدابه.[5]

و لو أرجعت هذه الكلمة إلى أصلها لوجدت بأنها مأخوذة من كلمة إشراق، ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف و السين و التاء، و معناها طلب النور و الهداية و الضياء، و الإشراق من الشرق حيث نزلت الديانات الثلاث، اليهودية و النصرانية و الإسلام، و لما كان الإسلام هو الدين الغالب فأصبح معنى الإستشراق البحث عن معرفة الإسلام و المسلمين و بلاد المسلمين عقيدة و شريعة و تاريخا و مجتمعا و تراثا....إلخ.[6]

و فعل "استشرق" العربي مشتق من كلمة "الاستشراق" المترجمة لكلمة <<orientalism>> الانجليزية و <<orientalisme>> الفرنسية الحديثتي العهد، و استخدمت كلمة "مستشرق" ترجمة للكلمة <<orientalist>> لتصف المشتغل بهذا الحقل المعرفي.[7]

ب) مفهومه اصطلاحيا:

أما فيما يخص المعنى الاصطلاحي للإستشراق تعترضنا إشكالية المصطلح من قبل ثلة من الباحثين، فيتباينون في آرائهم حول ذلك.

[5] - أحمد عبد الرحيم السايح: "الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1998م، ص 10.

[6] - مازن مطبقاني: "الإستشراق" نقلا عن الموقع: www.algidah.com/vb/shawthread.php? t : 2382

[7] - الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية ط1 2000م، ج2، ص 166.

فمن الضروري أن يعرف الدارس أو الباحث الظاهرة التي يقوم بتناولها، و ليس بالضرورة أن يوافق تعريفه لها من سبقه من المتهمين بمعالجة ذات الظاهرة، أو أن

يخالفهم فكل قد عرف الإستشراق حسب مفهومه له من ناحية، أو حسب زواية المعالجة من ناحية أخرى. [8]

1- رأي علماء الغرب:

أما لدى الغرب فيتساءل "أربري" نفسه ما هو الإستشراق؟ و ما كنه المستشرق؟ من الجلى أن الكتاب حين يعرض لمثل هذا الموضوع الواسع الذي لا يزال مجهولا بين الجماهير يحسن به أن يحاول الوصول إلى إتفاق بينه و بين قارئيه حتى يعرفوا موقفهم تعرفا صحيحا، و مما يزيد من ضرورة هذا التفاهم أن الإستشراق و مثله في ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى، قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمي في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، و إن كانت مجانسة له، حتى إن المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار، و الحفريات، و المؤرخ و عالم الصرف و الإشتقاق، و عالم الأصوات و الفيلسوف، و عالم اللاهوت، و الموسيقى و الفنان[9]

أما قاموس "اكسفورد الجديد" فيحدد المستشرق بأنه: " من تبحر في لغات الشرق و آدابه".[10]

و يعرف الألماني "رودي بارت" الإستشراق بقوله: كلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق)، و كلمة شرق تعني مشرق الشمس، و على هذا يكون الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي.

---

[8] - محمد جلاء إدريس: "الإستراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، العربي للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995م، ص 10.

[9] - أحمد عبد الرحيم السايح: "الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي"، ص 10.

[10] - المرجع نفسه، ص 11.

لكنه يختار في تحديد مفهوم الشرق الذي يتغير تبعا لاختلاف المكان و تغير الأزمان، فالشرق يختلف بالنسبة لليباني أو العربي أو الألماني أو الأمريكي، كما أم الشرق يختلف بالنسبة لأهالي العصور القديمة و الوسطى و لنا في العصر الحديث، و بخاصة بعد اكتشاف الأمريكيتين، و الحقيقة أن مفهوم الشرق غير واضح، فلا نعرف هل يقصد به حدودا جغرافية، أم صورة حضارية. [11]

و يعرف "جويدي" علم الإستشراق و المستشرق فيقول: "و الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو "علم الشرق" بل نستطيع أن نقول إن غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورا على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب كلا.. بل من الممكن أيضا أن نقول أنه بناء على الارتباط المتين بين المدن الغربي و التمدن الشرقي ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني، و ليس صاحب علم الشرق الجديد بهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هم من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق و بين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية.[12]

و تذهب "أغازي شيمل" إلى "أن الإستشراق علم، علم له أصوله و قواعده و مناهجه" لكن "العلم ينشر دوما معرفة الحقيقة المجردة حتى و إن كانت لا تلائم عواطفنا و أهواءنا و انفعالاتنا، و في سعينا الدؤوب إلى معرفة الحقيقة فإننا نستخدم وسائل المعرفة المتاحة لنا كالعاقل و الحواس لنرصد الظاهرة التي ندرسها ثم نشاهد تطورها بعد الملاحظة المستمرة عليها وصولا إلى قانون علمي يفسر هذه الظاهرة و نحن إذ نفعل ذلك فإننا نخضع أنفسنا لنظام صارم دقيق تتخلى فيه – كما قلنا – عن ميولنا و أهوائنا الذاتية لندرس الظواهر كما هي لا كما نريدها نحن أن تكون......".[13]

[11] - محمد جلاء إدريس: "الإستراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 12.
[12] - أحمد عبد الرحيم السايح: "الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي"، ص 11.

[13] - محمد جلاء إدريس: "الإستراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 12، 13.

و يرى "ديتريش" أن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق و تفهمه و لن يتأتى له الوصول إلى نتائج سلمية في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق.[14]

2- رأي علماء العرب:

و من بين العرب و المسلمين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد "لادوارد سعيد" عدة تعريفات للإستشراق منها أنه: "أسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين " الشرق" و بين "الغرب"، و يضيف "سعيد" بأن الإستشراق ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلبا باختلاف الثقافات و الدراسات أو الدراسات أو المؤسسات و ليس تكديسا لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق...أنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية و علمية و اقتصادية و اجتماعية و في فقه اللغة".[15]

و يذهب "أحمد الإسكندري" و "أجمد أمين" في تعريفهما للمستشرق بأنه "كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، و تقصي آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها و عاداتها و تاريخها أو علومها و آدابها، أو غير ذلك من مقومات الأمم، و الأصل في كلمة (استشرق) أنه صار شرقيا، كما يقال (استعرب) إذا صار عربيا".[16]

و يتحدث "أحمد حسن الزيات" عن الإستشراق، فيعرفه قائلا: "يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق و أممه و لغاته و آدابه و علومه و عاداته و معتقداته و أساطيره، و لكنه في العصور الوسطية كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، و دراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد و القاهرة من أضواء المدينة و العلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف و البربرية الجموح".[17]

[14] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 25.
[15]- مازن مطبقاني: "الإستشراق" نقلا عن الموقع: www.algidah.com/vb/shawthread.php? t : 2382
[16] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 27.
[17] - أحمد حسن الزيات: "تاريخ الأدب العربي"، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 471.

و يرى "مالك بن نبي" أنه "يجب أولا أن نحدد المصطلح: أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي و عن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى "طبقات" على صنفين:

أ) من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جرير دورياك و القديس توما الأكويني و طبقة المحدثين مثل كارادوفو و جولد سيهر.

ب) من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام و المسلمين في كتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية و طبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.

و هكذا و على الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الإستشراق.[18]

و عليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي و الاصطلاحي، فقد أطلق على الدراسة التي تعني بالعالم الشرقي مصطلح الإستشراق،[19] و هي بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه و وسطه، و أدناه في لغاته و آدابه و حضارته و أديانه.[20]

و بالمعنى الخاص تعني الدراسات المتعلقة "بالشرق الأوسط" لغته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته و حضارته بوجه عام، و يطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات (بالمستعربين).[21]

ثانيا: نشأة الإستشراق:

لقد اختلف الآراء حول بدايات الإستشراق، إذ أن البعض يعود به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس حيث تمثل في إقبال المستعمرين من الأوروبيين على دراسة العربية و جميع المعلومات عن المسلمين، ثم ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية.

[18] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 29.

[19] - فاروق عمر فوزي: "الإستشراق و التاريخ الإسلامي (القرن الإسلامية الأولى) – دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية و وجهة النظر الأوربية-"، الأهلية للنشر و التوزيع، لبنان، ط1، ص 30.

[20] - عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م، ص 90.

[21] - فاروق عمر فوزي: "الإستشراق و التاريخ الإسلامي"، ص 30.

و يدل على ذلك وجود مدونات محملة بتأثيرات عربية واضحة في مضمونها مما يثبت أن مؤلفيها أخذوا مادتهم التاريخية و قواعدهم الحسابية من مصادر عربية.

و بعض الرهبان من البلدان الأوروبية تصدوا للأندلس في إبان عظمتها و مجدها و درسوا في مدارسها و ترجموا القرآن و بعض الكتب العلمية إلى لغاتهم و درسوا على علماء المسلمين مختلف العلوم و خاصة الفلسفة و الطب و الرياضيات و من أوائل هؤلاء الذين وصلتنا أسمائهم الراهب الفرنسي "جربرت".[22]

يقول الباحث عمر فاروخ: "أن أوائل المستشرين منذ القرن الرابع عشر هجري كانوا من الرهان خاصة، ذلك لأن العلم كان في ذلك الدور من تاريخ أوروبا الفرنسي الذي أصبح بابا باسم "سلفستر الثاني" 999 – 1003م كان أول المستشرقين.[23]

"وبطرس ميجل" 1092 – 1156م "و جيراردي كريمونا" 1114 – 1187م و بعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب و مؤلفات أشهر علمائهم ثم أسست المعاهد التي تعني بالدراسات العربية أمثال مدرسة "باد و العربية" و أخذت الأديرة و المدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية.[24]

في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبين حيث لعبت الحركة الصليبية دورا مركزيا على مستوى الأحداث العالمية التي تمحورت في بداية العصر الوسيط و التقاء الشرق بالغرب وجها لوجه و حدوث ظاهرة الإستشراق الصليبي و افتتانهم بالشرق.

و يبدو أن الإستشراق قد تم في البداية على جهود فردية لم تكن ذات تأثير على مجرى التفكير العربي مما أدى إلى عدم اتخاذها نقطة بداية الإستشراق لدى بعض الباحثين و من ثم قام اعتبار الحروب الصليبية التي بدأت التعبئة لها في مجمع "كليرمونت 1095 على عهد البابا" آريان الثاني" هي البداية الحقيقية للإستشراق و ترجع في الأساس إلى أن الإستشراق قد تبلور كتيار فكري عام.[25]

[22] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق"، ص 51.

[23] - عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص 156.

[24] - علي إبراهيم النملة، الإستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، ط1، 1993، ص 14.

[25] - أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للإستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، سنة 2006، ص 65.

إن الإستشراق اتسع فخرج عن إطار الجهد الفردي أو حق عن إطار الجهد المؤسسي المحدود، إلى إطار المشروع الواسع الشامل الذي يستهدف إعادة تشكيل الشرق الإسلامي ليصبح شرقا غربيا، إذ الغرب هنا ليس جغرافيا، بل الثقافة.[26]

و قد تنوعت أنماط و مناهج الإستشراق الديني، و أهم المستشرقين فيهم:

"يوحنا الدمشقي" (680 – 570) و "بطرس ميجل" (1092 – 1156)، "ريموند لول"

(1235 – 1316) في فترة العصور الوسطى و كل واحد منهم يمثل مرحلة مهمة على صعيد دراسة الشرق و الإسلام، بدأت مع المؤول الذي دخل مع مجادلات مع المسلمين و الثاني الذي أنجزت تحت رعايته أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم عم 1143 في "دير كلوني" في جنوب فرنسا.[27]

و إرتبط الثالث بإقرار مجمع "فيينا الكنسي"، إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية في كل من باريس و بولونيا عام 1312م، و حث "لول" على أن يتخذ قرارا كنيسيا بإنشاء ست مدارس للغات الشرقية في أوروبا و الهدف المشترك أن جهود الرجال الثلاث هو دراسة الإسلام.

و يرى الدكتور "رضوان السيد" أن التاريخية الألمانية الهولندية و الفرنسية هي التي بلورت على مشارق القرن التاسع عشر المعالم الأولى للإستشراق بمعناه العلمي.

فقد قام الهولندي "توماس إرينيوس" (1624) بنشر كتاب عن النحو العربي باللغة اللاتينية، ظل معتمدا طوال حوالي قرنين، و إزداد تأثيره في الألمان عندما قام "ميخائيليس" عام 1771 بترجمته إلى اللغة الألمانية الفيلولوجيا كما صار معروفا منذ حوال قرن هي الركن الأول للتاريخانية الألمانية التي بلغت ذروة إزدهارها لدى المؤرخيين الألمان الكبار مثل: "رانكه" و "مومس" أوسط القرن التاسع عشر.[28]

[26] - عمر فروخ: الإستشراق بحث المستشرقين (مالهم و ما عليهم) سلسلة كتب الثقافة المقارنة بغداد، العدد 1، د.ت، ص 45.

[27] - أنور محمود زناتي، زيارة جديدة للإستشراق، ص 66.

[28] - المرجع نفسه، ص 67.

فإذا كانت الرومنطيقية قد أخرجت النظرة إلى الشرق الإسلامي من دائرة الجدالات للاهوتية، فإن التاريخانية لأمم هي السقف المباشر لعلم التاريخ الأوروبي الحديث، و للإستشراق الذي ناضل طويلا لكي يكون جزءا من ذاك التقليد التاريخي الإنساني، فاللغة لدى التاريخيين منذ ما قبل "دي سوسير" هي الشفرة تم اكتشاف مفاتيحها (النحو و الصرف و البلاغة و علوم اللسان الأخرى).[29]

نستطيع اكتشاف عقلية أي أمة من الأمم و تاريخها الثقافي و تكويناتها الدينية و الاجتماعية، و من هنا فقد عد الطريق اللغوي الوسيلة الأنجح للتحرر من مقولات اللاهوتيين حول الإسلام و المضي باتجاه معرفة الشرق باعتبارها جزءا من المعرفة التاريخانية المحايدة أو الموضوعية، لكن إشكالية الإسلام في ارتباطه الوثيق باللغة العربية و بعكس اللغات الشرقية الأخرى مثل الفارسية و السنسكريتية و الصينية أبقت على عصر الاندماج في العلوم التاريخية و التحول إلى الاختصاص التي وقع فيها الإستشراق أو إليها بمعنى اعتباره تخصصا بمفرده، ليس من التاريخ و ليس من لاهوت الأديان و لا من العلوم السوسيولوجية الوضعية هي التي جعلته موضوع شبهة دائمة لدى المسلمين باعتباره معاديا للإسلام و لدى السوسيولوجيين.

و الأنتربولوجيون باعتبار أنه لا تتوافر فيه شروط العلم الدقيق، لدى نقاد ثقافة الاستعمار باعتباره يمارس هيمنة و تملكا على ثقافة العرب و المسلمين و صورتهم التاريخية المعاصرة.

و هي وجهة نظر لاشك توضع في الحسبان إلى أننا عندما نورد تلك المعلومات يؤكد على أنها إرهاصات لنشوء الظاهرة الإستشراقية لابد من ذكرها و بدونها تصبح الصورة ناقصة، و لكن الذي يهمنا أن نعرف و نوقن تماما أن الغرب منذ أمد بعيد درستنا في جميع المجالات حتى توصل إلى معرفة التفاصيل و تفاصيل التفاصيل.[30]

و يرى بعض الدارسين المحدثين أن إتساع رقعة الدولة العثمانية و روابطها الاقتصادية و السياسية الممتدة مع مجموعة كبيرة من الدول الأوروبية و الغربية، كان عاملا كبيرا في

[29] - إسماعيل أحمد عمايرة: بحوث في الإستشراق و اللغة، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2002م، ص 427.

[30] - أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للإستشراق، ص 68.

دفع حركة الدراسات الإستشراقية آنذاك مع كل ما حملته هذه الحركة من أثار إيجابية أو سلبية، ليتواصل الاهتمام بلغات العالم الإسلامي و العربي لهجماته، و حتى الرهبان قاموا بدراسة اللغة العربية ليعينوا أقوامهم على الشعوب العربية الإسلامية ليتمكنوا منهم في جميع مجالات الحياة الدينية و الفكرية و السياسية و الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى النفسية.[31]

و الذي لم يدع الإستشراق يثمر نظرات موضوعية هو ارتباطه بالكنيسة و رجال الدين و لم يأتي ذلك من إلا منذ نهاية القرن التاسع عشر، حين مالت بعض الدراسات إلى الموضوعية و العلمية المحايدة للإسلام لا الطاعنة فيه، حق إن كتاب الديانة المحمدية للمستشرق الهولندي "هادريا نريلاند" (1676 – 1718) أدرجته الكنيسة الكاثوليكية في قائمة الكتب المحترمة و يمنع منعا باتا لما فيه من الموضوعية و الصحة، و ذلك خوفا من دخول أفراد كثيرين في الإسلام.

و قد شهد الإستشراق في القرنين السادس عشر و السابع عشر ازدهارا في النواحي العلمية و الدراسية المتخصصة، ففي القرن السادس عشر و تحديدا عام 1539 تم إنشاء أول كرسي للغة العربية في الكوليج "دي فرانس" في باريس شغل هذا الكرسي "جيوم بوستيل" (1510 – 1581) الذي يعد أول المستشرقين الحقيقيين و قد أسهم كثيرا في إثراء دراسة اللغات الشرقية في أوروبا و جمع في الوقت نفسه و هو في الشرق مجموعة هامة من المخطوطات و قد سار على نهجه تلميذه "جوزيف أسكا ليجر".

و كانت أول مطبعة عربية في أوروبا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال "فرناندو ديمدتشي" كبير "دوقات توساكا"، و كان يرأس هذه المطبعة التي كان مقرها في روما شاب إيطالي من بلدة كريمونا يدعى "جيوفاني بتستر إيموندي"، الذي أقام في المشرق فترة طويلة و يحتمل أنه تعلم العربية و على كل حال فإنه أهتم بالخطوط العربية والحروف العربية و خصائصها فاستطاع أن يصنع حروفا عربية مختلفة الأوضاع، مفردة، متصلة

[31] - المرجع نفسه، ص 69.

بما قبلها متصلة فيما بعدها في آخر الكلمة و أتم حفر و تقطيع هذه الحروف العربية المتحركة المرسومة رسما جميلا.

و إبتداءا من 06 سبتمبر 1586 بدأت المطبعة في جمع و طبع أول إنتاج لها و هو كتاب "القانون" لـ "لإبن سينا" و معه كتاب "النجاة" الذي هو مختصر (الشفاء) و تم إنجاز طبعهما في 1593[32].

أما القرن السابع عشر فقد واكبه اهتمام خاص من طلائع المستشرقين الأولى في الاهتمام بالدراسات الإسلامية و التراث العربي و الإسلامي و الإشراف على نشر هذه الكتب و محالة تصحيحها، و لذا يمكن أن نعتبر هذه الفترة تمثل التجارب الأولى لتعاطي المستشرقين للأسلوب الحديث في تصحيح النصوص التراثية العربية ثم تكاملت و نضجت هذه التجارب وقت لاحق.[33]

و عندما أقبل القرن الثامن عشر كان الإستشراق قد وطأ أقدامه و استقل كيانة و تحددت معالمه إلى حد بعيد، وشهد إنشاء كرسيين للغة العربية في جامعة "أكسفورد" و "كامبريدج" و توسع أوروبي هائل و إقبال من الطلاب و الباحثين غير مسبوق.

و شرع الغربيون في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت نقطة انطلاق كبرى للإستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية و الإدارية و المالية فأسهمت إسهاما فعالا في البحث و الاستكشاف و التعرف على عالم الشرق و حضارته، و قد أقيمت المعاهد لتعليم اللغة العربية و آدابها.

و في 1798 جاءت الحملة الفرنسية على مصر و كان أهم نتائجها الاتصال مباشر المنظم بالشرق و الكشف عن طريق المعاينة و المشاهدة عن أحواله السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

و كانت هناك محاولات جادة كرستها الحملة لمعرفة مصر و الشرق حتى قبيل قدومها إلى مصر مثل تأسيس المدرسة الأهلية عام 1793 لتدريس اللغات العربية و التركية

---

[32] - أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للإستشراق، ص 69.

[33] - أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للإستشراق، ص 70 - 72.

و الفارسية و كان الغرض من تأسيسها هو إماطة اللثام عن الشعوب الشرقية و دراستها بشكل علمي و كذلك إيجاد مجموعة من العلماء و الباحثين المتخصصين في الدراسات الشرقية و الذين أصبحوا نواة للإستشراق العلمي حيث قاموا بتحرير كتاب وصف مصر.

و قامت فرنسا بإنشاء مدارس لتدريس اللغة العربية مثل مدرسة "ريمس" و "سارتر" و إنشاء كراسي للغتين العربية و العبرية في باريس، و كانت جامعة "السربون" و لا تزال تلعب دورا هاما في مضمار الدراسات العربية و الإسلامية.

و هذه الصفة العلمية للإستشراق كانت نتيجة انفصام الهوة بينه و بين الكنيسة و خاصة في القرن التاسع عشر، و تدفق المستشرقين على أقطار الشرق العربي.

و هكذا يمكن القول – كما قال "بارت" – بأن الإستشراق قد تشكل كعلم في القرن التاسع عشر، و ذلك عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء المسبقة و عن لون من ألوان الانعكاس الذاتي، و للاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذي له نظمه الخاصة، و عندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا و من ذلك ينضج أنه بتخليص[34] الإستشراق من سيطرة اللاهوت أصبح علما قائما بذاته هدفه دراسة اللغات الشرقية و آدابها و برزت هناك النزعة العلمية نتيجة إلى الآداب و العقائد الشرقية لذاتها مستهدفة المعرفة وحدها إلى حد ما.

و حينما دخل العالم أعتاب القرن العشرين جرت أحداث هامة أدت إلى تحولات خطيرة في العالم العربي للإستشراق ففي القاهرة أنشئت الجمعية الأهلية التي أحتضنها عدد من المستشرقين الذين تولو التدريس فيها و خرجوا دفعات كبيرة من الطلاب العرب و وفد عدد كبير من المستشرقين المتخصصين للتدريس في الجامعة المصرية لعل من أبرزهم:

"نيلين"، و "ملسينيون"، "شاخت"، "توماس أرنولد"، "كازانوفا"، "ليتمان".....الذين حضروا في الفقه و الآداب العربية و الفلسفة و العلوم و الفن.....الخ.[35]

[34] - أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للإستشراق، ص 72 - 74.

[35] - المرجع نفسه، ص 74.

ثالثا: دوافع الإستشراق

الإستشراق ظاهرة تاريخية معقدة تنوعت دوافعها عبر القرون و تباينت حسب المراحل التاريخية و ربما غلب عمل واحد أو أكثر في مرحلة معينة على غيره من العوامل، و لكن الحقيقة تبقى واضحة و هي أن جملة عوامل اشتركت في تحديد معالم الإستشراق و منطلقاته، و لعل من الدوافع البارزة في تحفيز المستشرقين مايلي:[36]

1- الدوافع الديني:

لقد لعبت الدوافع الدينية دورا خطيرا في نشأة الإستشراق و ميلاد فلسفة و اتجاهاتها فعندما جاء الإسلام وجد العالم بأسره في أزمة فكرية حادة و قلق روحي بالغ، فحاول أن يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور، و من الباطل إلى الحق، و من الهدم إلى البناء، فبنى في قرن ما لم يبنه غيره من قرون، و بدأ الناس حتى من غير أهله يتوافدون إلى مراكزه و معاهده ليتعلموا فيها، و من أمثالهم "جرير" و "سكون"، و "بيكون" و غيرهم، جاء بعضهم ليستفيد ثم يفيد، و الآخر ليتعلم ثم ليحارب و يهدم، و سواء كان هذا أو ذاك، فلم يكن لليهود أو للنصارى من سبيل آخر إلا أن يتقبلا التحدي الكبير و يجبرا على دراسة الإسلام و لغته آدابه، و قد ظلت اللغة العربية لفترة طويلة لغة عام و ثقافة و فلسفة و سبيلا وحيدا للنهوض و الازدهار و بدت أقوم طريق لفهم الكتب السماوية و فلسفتها فتسابق أصحاب الديانات الأخرى إلى تعلمها و تعليمها لمواطنيهم و ذويهم، و هكذا أصبح العامل الديني دافعا قويا لانتشار الإستشراق في العالم، إذ أنشأت في الغرب المعاهد و المدارس لتعليم لغات الشرق و أديانه، حتى ليرجع فضل دراسة اللغات الشرقية في الحقيقة إلى المرسلين المبشرين الموفودين إلى البلاد الشرقية من لدن الباباوات فهؤلاء هم الذين حملوا معهم عند رجوعهم إلى بلادهم تلك اللغات، و قد كانت المجادلة في العلوم و الآداب ضمن اختصاص دائرة الإكليروس المسيحي أي الرهبان، و هو الذين قبضوا على ناصيتها و اختصوا بها و منعوا الجمهور من تداولها.[37]

---

[36] - فاروق عمر فوزي: "الإستشراق و التاريخ الإسلامي"، ص 31.

[37] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 48، 49.

و أخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، و التشكيك في التراث الإسلامي و الحضارة الإسلامية و كل ما يتصل بالإسلام من علم و آداب و تراث.[38]

و يقول الدكتور البهي: رغب النصارى في نشر دينهم بين المسلمين فأقبلوا على الإستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة و إرسالهم للعالم الإسلامي، و التقت مصلحة المبشرين مع أهداف المستعمرين و أقنع المبشرين زعماء الاستعمار بأن النصرانية ستكون قاعدة للاستعمار الغربي في الشرق و بذلك سهل الاستعمار المبشرين مهمتهم و بسط عليهم حمايته.

و حين قامت جمعيات التبشير، و وضعت مخططها و هو تحويل المسلمين عن دينهم و نقلهم إلى النصرانية أو إلى اللاتينية....كانت دوافع الإستشراق لدى المبشرين و أنصارهم هي دوافع التبشير نفسها و تتخلص بسلخ المسلمين عن دينهم، و محاولة إدخالهم في النصرانية.[39]

2- الدافع التاريخي:

إن العلاقة بين الشرق و الغرب كانت عبر تاريخها الطويل فأخذ اتجاهات مختلفة، من حب و لقاء، و هجوم و عداء، و هدم و بناء، حيث حاول كل منهما أن يسطر على الآخر، و من الجلي أن الغرب كان عبر التاريخ أكثر هجوما و عداء و أشد بطشا و قوة و أطماعا.

لقد كانت العلاقة بينهما عبر التاريخ علاقة صراع متواصل، يلتهب و يخمد، و يشتد و يضعف، و تطور بعد انطلاق الإسلام و ارتقاء المسلمين، حتى أصبح منذ ذلك الحين

صراعا بالسلاح بقدر ما كان صراعا بالأفكار، و بعد أن احتل الإسلام مكانه في التاريخ و أحدث فيه ما أحدث و أثر في حركته تأثيرا عظيما، اضطر علماء الغرب إلى دراسته و البحث في كل ما يتعلق به لفهم مظاهره و أحداثه المعجزة، و قد أجبرت هذه الظروف

[38] - مصطفى السباعي: "الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)"، دار الوراق للنشر و التوزيع، بيروت، ط3، ص 21.
[39] - عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 95.

التاريخية أولئك العلماء في البحث فيها، و فيما يتعلق به من حضارة و آداب و فلسفة و أديان، و لم يعد من سبيل إلى الإنكار بأن الإستشراق قد ولد في أحضان الواقع التاريخي و اتجاهه، و لعل بعض النفوس في الغرب قد أحست بالمرارة من خضوع بلادها المطلق، لذلك الطارق الجديد فأرادت إنكار فضله و أشادت بحضارة اليونان و الرومان حينا و كان من نتائج صراع الشرق و الغرب منذ قرون و تفوق العرب على أوروبا، أنصار الغربيون يشعرون بمذلة سببها الخضوع للحضارة الإسلامية التي لم يتحرروا منها إلا أخيرا.[40]

و يكفي دليلا على ذلك تلك الوقائع التاريخية التي حدثت عندما "اجتاحت العالم المعروف في ذلك الزمان جحافل المسلمين و استطاعت أن تؤسس في أقل من قرن من الزمان أكبر و أقوى إمبراطورية عرفتها القرون الوسطى.... و أصبح المسلمون سادة الدنيا بلا منازع".

و لو أضيفت إلى هذه الأمجاد الإسلامية فتح الأندلس و وقائع الحروب الصليبية، وصد عدوان المغول... ثم نزاع الدول الأوروبية فيما بينها في توزيع أراضي أفريقيا و آسيا و استغلالها و استيعاد سكانها، و مجيئ نابليون و قواته إلى الشرق، و إحساس دول الغرب بالبغض للعالم الإسلامي و رغبتها في القضاء عليه، و هذه كلها أدلة مؤكدة للدور الذي لعبته الدوافع التاريخية في ميلاد حركة الإستشراق و تكوين فلسفته.[41]

3- الدوافع الأيديولوجي:

و هو خطير و نافع في الوقت نفسه، إذ يدفع الإنسان إلى ذلك الصراع الفكري المتواصل الذي لا يهدأ و لا يستكين لا انقطاع فيه و تلك سنة الحياة التي تدفع الإنسان للصراع حتى مع نفسه و أخيه.. و حتى العالم بأسره، و يمكن هذا الدافع في وجود الأيديولوجيات المختلفة،

[40] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 43.
[41] - المرجع نسه، ص 44.

أيديولوجية الأفراد و الجماعات.. و القوميات إلخ، و كل منها تسعى لتفرض نفسها على غيرها و تسيطر عليه و يهدف صاحبها إلى أن يكون رئيسا و الآخر مرءوسا.

حيث أن الغرب لم يتردد في تحقيق أهدافه الأيديولوجية في استخدام جميع الوسائل المشروعة و غير المشروعة قانونية كانت أو غير قانونية خيرة كانت أم شريرة، حتى أرسى قواعده الأيديولوجية التي تبرر أعماله، و منها "الغاية تبرر الوسيلة"، "فرق تسد"، "أقتل تعش"، "حارب تسيطر"، "اغتصب تملك".[42]

فقد كانت هذه الأسباب الأيديولوجية دافعا قويا في زحف الغرب على الشرق و تعلم لغاته و بحث آثاره و محاربة أفكاره و ايديولوجيته، و لقد تبلور هذا كله في غزو الغرب الفكري الذي كان يرمي إلى إضفاف الشرق عامة و العالم الإسلامي خاصة ليقتلعه من جذوره و يزيله من وجوده و ما من شك في أن الدوافع الأيديولوجية كانت إحدى بواعث الإستشراق القوية و انتشار آفاته في أنحاء البلاد الأوروبية و بين مواطنيها.[43]

4-الدوافع السياسي:

و هناك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية و الإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر و الصحافة و السياسة فيتعرف إلى أفكارهم، و يبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، و كثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون، يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، و بين الدول العربية و الدول الإسلامية، بحجة توجيه النصح و إسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد،

[42] ـ أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 46، 47.

[43] ـ المرجع نسه، ص 47.

و عرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم و استعمارهم.[44]

و حتى وقتنا الراهن لازالت بعض الحكومات تستعين بالمستشرقين في رسم سياستها، و دخلت في هذا المضمار اليابان و الصين و كوريا و غيرها من بلاد الشرق الأقصى، و زاد اهتمام هذه البلاد بالعالم الإسلامي بعد تحويلها إلى دول صناعية تضارع – بل تفوق - الدول العربية، و هؤلاء الوافدون الجدد قد لا يحملون مسمى "المستشرقون" بالضرورة... منهم خبراء بالمنطقة أو باحثون أو علماء متخصصون، و هذا يأتي نتيجة لمحاولات الانسلاخ من مصطلح "الإستشراق" نظرا لما وقر في نفوس المسلمين من مفهوم هذا اللفظ، و المهمة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل، يقوم بها المستشرقون الجدد، و إن اختلفت و حورت المسميات.[45]

5- الدوافع الاستعماري:

و يمثل هذا الدافع النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق و الغرب، و محاولة الأخير السيطرة على الأول، و سحق قوته و احتلال أرضه. و استغلال مقدراته، و لهذا الدافع جذور عميقة زرعت و نبتت قبل الميلاد، و نمت بعده، و ازدادت عمقا و شمولا مع اندفاع العرب و سيطرة الإسلام على الإمبراطوريات السابقة و وصوله إلى أوروبا و استقراره في بعض أراضيها، عندما رأى الغرب كل هذا شرع يعد قوته لخوض معركة فاصلة معه و السيطرة عليه، فأخذ يتعلم لغته و آدابه و حضارته و تاريخه لكي يتفوق عليه ثم قام بمغامرات صليبية معروفة فحارب الإسلام قرونا و لم ينتصر، و لكن عندما نجح في طرده من الأندلس لم يكتف بذلك، بل واصل استعداده لمواجهة الإسلام في عقر داره و احتلال بلاده و السيطرة عليها.

و يعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الإسلام و انتشاره لأن له قوته و جلاله و أنه الوحيد بين الأديان و المذاهب، الأيديولوجيات الذي يستطيع أن يقف في طريق أطماع

[44] - مصطفى السباعي: "الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)"، ص 24.

[45] - عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحفاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 98.

الغرب و سيطرته على العالم سياسيا و حضاريا و دينيا و فكريا، و من هنا تبرز لنا غايته و هدفه من الإستشراق.[46]

و قد انتهى تفكير "الملك لويس التاسع" إلى تلك الآراء و المأخذ التي رآها أنها تمكنه من مواجهة الإسلام و النيل من قوته و كان من بينها: "تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سليمة تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع الأسلحة التي تستخدم في المعركة، و تجنيد المبشرين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام، و وقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا، و اعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودا للغرب".[47]

كما حاولت الدراسات الإستشراقية بشتى الطرق الملتوية إعادة النظم الملتوية إلى أصول يونانية أو بيزنطية، و لهذا نجد المستشرق "بيكر" يسمي حضارة العرب بأسطورة حضارة العرب.

و يعترف المستشرق "برنارد لويس" بالنيابة عن مثقفي عصره و بكل صراحة و وضوح تستحق التقدير حين يقول:

"إن ما تعودنا عليه في الغرب هو أن يزداد تمسكنا بمثلنا الغربية كلما ازداد اتجاه الشرقيين إلينا، و ذلك جعل أنفسنا مثالا للفضيلة و التقدم الحضاري، فإذا تشبه الشرقيون بنا فذلك جيد و العكس بجد عندنا شراء، فالتقدم هو في محاكاتنا و التقهقر و السقوط هو عدم التشبه بنا".[48]

و دعى المستشرق الهولندي "سنوك هورخرنيه" إلى سياسة الترابط الثقافي بين هولندا و مستعمراتها في الشرق لأن هذه السياسة عنده أقوى من روابط الهيمنة بالقوة و السلاح و أقوى على ربط المستعمرات بالوطن الأم.

---

[46]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 50.

[47]- عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 96، 97.

[48]- فاروق عمر فوزي: "الإستشراق و التاريخ الإسلامي"، ص 35.

فقد استعمل أكثر من باحث مصطلح "الغزو الفكري" أو "الاستعمار الثقافي" للتعبير عن نشاطات المستشرقين الأوروبيين التي تتفق بحوثهم مع الأهداف الاستعمارية في السيطرة على المنطقة.[49]

و تجلى ذلك في بلادنا العربية، فشجعوا القوميات التاريخية التي عفى عليها الزمن، و اندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوحدت لغتهم و عقيدتهم و بلادهم، و حملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم و بين الشعوب روابط إنسانية و تاريخية و ثقافية ازدادوا بها قوة، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، و الفينيقية في سوريا و لبنان و فلسطين، و الأشورية في العراق و هكذا، ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، و ليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا و تحررنا و سيادتنا على أرضنا و ثروتنا و عودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، و التقائنا مع إخوتنا في العقيدة و المثل العليا و التاريخ المشترك و المصالح المشتركة.[50]

6- الدافع الاقتصادي:

و هو الدوافع البارزة أمام كل من له دراية بالعلاقات بين الشرق و الغرب، لأنها بطبيعتها تدفع الإنسان لالتماس سبل العيش عبر الأراضي و البحار في جميع بقاع العالم، حيث يسلب و ينهب و يخرب، و يقامر بحياة الآخرين، و بسبب هذه الأطماع الجشعة تتابع الهجمات المسعورة من السيطرة على جميع مرافق الحياة في العالم العربي.[51]

حيث يقول الأستاذ "عبد الرحمن الميداني": "من الدوافع التي حرضت كثيرا من الغربيين على الدراسات الإستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا، و الهدف: الاستيلاء على الأسواق التجارية و المؤسسات المالية و الثروات الأرضية، و استغلال

[49] ـ فاروق عمر فوزي: "الإستشراق و التاريخ الإسلامي"، ص 36.
[50] ـ مصطفى السباعي: "الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)"، ص 23.
[51] ـ أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 45.

الموارد الطبيعية و الحصول عليها بأبخس الأثمان و إماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الغربية".[52]

و كانت هذه النواحي الاقتصادية من أشد الدوافع إلحاحا في اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق و دراسة حضارته، و من ثم كان العالم الإسلامي مجالا اقتصاديا ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوروبيين و تبع ذلك بالضرورة عناية الغربيين بدراسة علومه و ثقافته و فلسفته.

و من خلال هذه الدراسات أدرك الغرب أنه إذا أراد من يسامى من الشرق و يتفوق عليه فليس له من سبيل آخر يوصله إلى انتزاع زمام الأمور من يده إلا بتعلم لغاته، و ما يتعلق بها من حضارة و علوم، و أدرك أنه لكي يتسرب إلى مصادر القوة في الشرق و يمزقها يجب عليه أن يتسلح بالقوة الاقتصادية، و هناك عاملا اقتصاديا آخر للإستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة، و كثير من أصحاب المكتبات التجارية و القائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات و الكتب التي تدور حول الإسلاميات و الشرقيات و يشرفون على نشرها لما يرون من سوق نافقة في البلاد الشرقية.[53]

حيث اشتغل بعض المستشرقين بإبراز بعض الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق و الإنجاز بهذه الجوانب و الاسترزاق من ورائها فترجموا "أليف ليلة و ليلة" و حللوها و بحثوا فيها و كذا "رباعيات الخيام" و رسائل "إخوان الصفا" و غير ذلك، و بهذا خدم الإستشراق الناحية الاقتصادية خدمة عظيمة، و ساعد على إحياء النهضة الصناعية في أوروبا.[54]

كما كانت لهذه الأخيرة دورا بارزا في انتشار الإستشراق و معاهده و مراكزه في أنحاء العالم.[55]

[52] ـ عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحفاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 97.
[53] ـ أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 45، 46.
[54] ـ عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحفاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 97.
[55] ـ أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 46.

7- الدافع العلمي:

و هي ذات شأن عظيم في حركة الإستشراق لأن العالم العربي يعد كنزا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شيدت حضارات و ثقافات، و ولدت علوم و فنون، و نزلت شرائع و أديان، و قد أثارت هذه القيم علماء الغرب فاهتموا بدراستها و اكتشاف أسرارها، و تحقيقا لهذه الغايات الساهية أيقن الغرب أنه لابد له أولا إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق و آدابها و حضارتها و خصوصا حضارة الإسلام.[56]

و من هؤلاء المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الإستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم و أديانها و ثقافاتها و لغاتها، و هؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام و تراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس و التحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق و إلى المنهج العلمي السليم، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام و آمن برسالته، على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الإستشراق بأمانة و إخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقى رواجا، لا عند رجال الدين، و لا عند رجال السياسة، و لا عند عامة الباحثين، و من ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا و لا مالا، و لهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.[57]

و من بين المستشرقين الموضوعين نجد "هادريان ريلاند" يصحح في كتابه الموسوم (الديانة المحمدية) العديد من الآراء الأوروبية حول الإسلام، فقد دعى إلى القراءة عن الإسلام من مصادره و ينابيعه الأصلية الموجودة في الكتب العربية و حينذاك سيرى القارئ بعيونه و ليس بعون الآخرين، ثم يستطرد قائلا: "... و في رأي أن ذلك الدين الذي انتشر انتشارا بعيدا في كل من آسيا و أفريقيا و أوروبا أيضا ليس دينا سخيفا كما يتخيل كثير من النصارى "ولكن كتابه حرم من قبل الكنيسة الكاثوليكية.[58]

[56]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 51.

[57]- مصطفى السباعي: "الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)"، ص 25

[58] - فاروق عمر فوزي: "الإستشراق و التاريخ الإسلامي"، ص 38. 37.

و أيضا المستشرق الفرنسي "رينه" الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام و أعلن عن إسلامه، و يسمى باسم "ناصر الدين رينه"، و ألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول – صلى الله عليه و سلم -، و له كتاب آخر باسم "أشعة خاصة بنور الإسلام" بين فيه تحامل قومه على الإسلام و رسوله، و قد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا و نقل جثمانه إلى الجزائر و دفن فيها.[59]

8- الدافع الأدبي (الفني):

منذ بداية الاتصال بين الشرق و الغرب، لاسيما في بداية العصور الوسطى، كانت المعلومات عن الشرق و الإسلام بوجه خاص تدخل الخيال الغربي و تؤثر في تشكل تقاليد أدبية و فنية ما تزال مستمرة في العديد من الأعمال الإبداعية، في ملحمة الشاعر الإيطالي دانتي "الكوميديا الإلهية" في القرن الثالث عش الميلادي، نجد تصويرا لشخصيات إسلامية تعكس الكيفية التي تصورت بها أوروبا النصرانية المسلمين آنذاك، ثم نجد جانبا مغايرا إلى حد ما في بعض أعمال الشاعر الإنجليزي "تشوسر" في القرن الرابع عشر الميلادي ثم "شكسبير" في السادس عشر، و "فوليتر" في السابع عشر و هكذا عبر العصور حتى نصل العصر الحديث لنتواصل التناولات و التصورات الإستشراقية في أعمال العديد من الكتاب الغربيين و منهم على سبيل المثال الروائي الأمريكي "جون بارث" الذي اهتم بـــــ "ألف ليلة و ليلة" على نحو خاص، أما على مستوى الفنون التشكيلية فإن أشهر ما أسفرت عنه التقاليد الإستشراقية هي اللوحات التي أنتجها فنانو العصرين الثامن عشر و التاسع عشر في أوروبا من أمثال الفرنسي "دي لاكروا".[60]

---

[59] - عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحفاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 99.

[60] - الموسوعة العربية العالمي، ص 713.

رابعا: أطوار الإستشراق

مرت حركة الإستشراق منذ نشأتها الأولى حتى القرن العشرين بأطوار ثلاثة:
التكوين و التقدم و الانطلاق.[61]

الطور الأول:

و من أهم الأسباب التي وجهت أنظار الدول الأوروبية إلى جزيرة العرب، ما ورد في كتب "هردوت" مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، و "تييوفراست" تلميذ أرسطو، الذي تحدث حديثا شيقا عن طبوب بلاد العرب الشهيرة في كتابه "تاريخ النبات" و الجغرافي اليوناني استرابون، في مستهل القرن الأول للميلاد، في وسط الجزيرة العربية، و إذن فقد نشأت البذور الأولى للإستشراق قبل الميلاد.[62]

و بعد ميلاده كعلم متميز في القرن الثامن الميلادي أخذ يشب و يترعرع في كنف الكنيسة التي كانت ترعاه و توجهه، و قد تسمت هذه العصور كلها بتعصبها الأعمى ضد الإسلام و رسوله.

فمنذ اتصل الغرب بالعرب عن طريق الأندلس بدأ أصحاب الفكر فيه يعادون المسلمين و يهاجمونهم و ظلت هذه الطريقة متداولة رائجة حتى عصرنا هذا، و ظلت العقلية الأوروبية تفكر بهذه الطريقة إلى ما قبل الحروب الصليبية إذ كانت على معرفة ناقصة بالشرق، و أيا ما كان الأمر فإن هذا الطور يحتل مكانا بارزا في تاريخ الاستشراق الذي أخذ يخطو نحو آفاق واسعة و ذلك لأن أوربا بدأت تراقب عن كثب ما كان يجري في طليطلة، و ما كان يدور في بغداد.[63]

و كثيرا ما يتحدث التاريخ عن البعثات المختلفة، كما يتحدث عن صلات الإمبراطور "شارلمان" بالخليفة "هارون الرشيد"، و كان "شارلمان" على معرفة تامة بأمور الشرق و الأندلس، فكانت له رغبة الشديدة في نهضة بلاده، فبدأ يؤسس المدارس المختلفة و المجامع العلمية على غرار المدارس العربية، و أمر بتدريس العلوم الحديثة فيها، و لما

[61] - أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 70.
[62] - المرجع نفسه، ص 71.
[63] - نفسه، ص 71، 72.

قوى نفوذه، قام بإدخال هذه العلوم في المدارس التي كانت تسيطر عليها الكنيسة، و قد فزعت هذا الأخيرة من هذه العلوم الحديثة فقامت بإلغاء دراستها بعد موت "شارلمان"، فخلفه حفيده في ذلك، فصمم على أن يسلك في حكمه طريقة جده، فاستدعى عالما إنجليزيا يسمى "جون أريجينا" كان ملما بالعربية و اليونانية و العبرية، و وضع برنامجا ثقافيا بناء يمكن إيجازه في نقاط ثلاث:

الأولى: ترك مهمة التدريس في المدارس الأوربية إلى أساتذة من العرب و من اليهود المسلمين إلماما واسعا بالثقافة العربية.

الثانية: إرسال أكبر عدد ممكن من الطلاب الغربيين إلى الأندلس لتلقي العلم على أيدي العرب، حتى يعدو أنفسهم لتحمل مسؤولية التوسع الثقافي في أنحاء البلاد.

الثالثة: ترجمة أهم الآثار العربية، و بصفة خاصة ما كان متصلا منها بالآداب، و العلوم و الفنون و الطب و الفلسفة إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة الثقافة هناك في ذلك الوقت.[64]

و يبدو أن نتائج المجهود العلمي لهذا العالم الإنجليزي قد ظهرت بسرعة، و توطدت العلاقات الثقافية بين الغرب و العرب.

و كان هذا هو الذي حدث من خلال المرحلة الأولى من مراحل النهضة الأوروبية الحديثة، و منه نرى مبلغ أهمية الإستشراق و دوره الفعال في خطوات أوروبا العلمية الأولى لبناء صرح نهضتها الحديثة.[65]

كانت الحروب الصليبية سببا في تحول كبير في العقلية الغربية التي شرعت في دراسة الحياة الإسلامية، حيث تأكد لها أن الأمة انطلقت إلى أفاق واسعة تتسم بأهداف الإنسان الحر و أماله الكبيرة، غير أن العقلية الأوروبية التي ظلت ضيقة الأفق لم تستطع حينئذ أن تحرر نفسها من كل القيود.

[64]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص.62

[65]- المرجع نفسه، ص 73.

إذ أدى قيام الحروب الصليبية إلى زيادة روح التعصب الديني، و انعكست هذه الروح على الإستشراق فقد بدأ الجاحدون للإسلام من الأوروبيين يتعلمون اللغة العربية، لاحبا فيها و لكن ليأخذوها وسيلة إلى فهم القرآن، و سلاحا في منافسته، و قد أدركوا حينئذ أن المناقشة عن العلم، أجدى و أقوى من المناقشة بغير سلاح و لا عدة.[66]

و بدأ اهتمام أوروبا باللغة العربية يزداد و ينشط حتى اهتم "فريديريك الثاني" ملك صقلية في نهاية القرن الثاني عشر ميلادي، بنقل العلوم العربية و ترجمة كتبها، و اقتدى ملوك أوروبا و أمراؤها به و سرعان ما رأى الأوروبيون بعد أن لجأوا إلى السيف أو لا فلم ينالوا ما يبتغون أن يعمدوا إلى وسيلة أخرى أمر من السيف و أدهى فقد عقدوا مؤتمرا كبيرا في فيينا عام 1311 ميلادية ترأسه "البابا كليمان الخامس" و قرروا أن تؤسس في باريس و بولون و أكسفورد، مدرس خاصة تدرس فيها العربية و العبرانية و الكلدانية لتخريج و عاظ أشداء يستطيعون تنصير المسلمين و اليهود و تشتيتهم في ما هم يؤمنون.[67]

و هكذا قرر الغرب مواجهة الإسلام على نطاق أوسع، و بعد فترة من الزمن خرجت تلك المدارس و الجامعات عددا ضخما من العلماء اللغة العربية و أدابها، و كان هذا تقدما جيدا في استشراق حيث أخذ أساتذته يقومون بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية و اللغات الأوروبية الأخرى، و يتعلمون فلسفة العرب، و يتعرفون على أئمتهم و مفكريهم.[68]

و يعد هذا الإتجاه طورا جديدا في دراسات الغربية و هو طور ظهور أول ما نسميهم بالمستشرقين بالمعنى الحديث و قد حدثت تغيرات عظيمة في هذه المرحلة إذ كانت أوروبا

قد تقدمت تقدما به في ميدان العالم، و العرفان، فهذا بدأ طور جديد في الإستشراق الذي أتاح للحضارة العربية من فرص الانتشار ما لم يتح لها من قبل، و ذلك لأن "فريدريك الثاني" كان ملما باللغة العربية و دارسا لثقافتها و فتح أمام العرب أبواب ملكه الواسع، و

[66] - أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 73، 74.
[67] - المرجع نفسه، ص 74، 75.
[68] - نفسه، ص 75.

دعا إليه أكبر عدد ممكن من المستنيرين منهم لكي يصلحوا برامج التعليم و ينفذوها من الناحية العلمية و الإدارية.[69]

و مما تقدم نرى أن الفترة من بداية الحروب الصليبية، ثم ظهور "فريدريك الثاني" ملك صقلية و مؤتمر فيينا، ثم ظهور الطباعة كانت بحق فترة تقدم الإستشراق و توسعه.[70]

الطور الثالث:

شهد القرن السادس عشر خطوة عظيمة في تطور الإستشراق حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاطها فتحركت الدوائر العلمية و أخذت تصدر كتابا بعد الآخر، و منذ ذلك الحين خطا الإستشراق خطوة جديدة نحو الانطلاق، فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوروبا كلها و أقيمت المطابع لإصدار نفائس العرب و أخذ العلماء الرهبان يتسابقون في دراستها، و كانوا يستخدمون كل وسيلة للحصول على نفائس الشرق و نشرها، و في مقدمة من برز اسمهم في هذا الميدان الهولندي "توماس فان" (1584 - 1624) الذي نشر أول أجرومية عربية، و تلميذه "جاتوب جوليوس" (1596 – 1667) و كثرت كراسي الدراسات الشرقية التي كانت مقصورة من قبل على باريس فدرس "رافلنجين" العربية في ليدن لسنوات، و أسس "أوربان الثامن" في روما عام 1627 كلية الدعاية و هي مركز نشط للبحوث و فتح "إدوارد بوكوك" كرسيا للعربية في أوكسفورد في عام 1638.[71]

و لقد كان لتلك المدارس و الكراسي أثر كبير في نهضة الإستشراق حيث بدأ أصحابه يعتمدون على معلومات أكثر صحة و أبعد غورا و شرعوا في تصحيح تلك الأباطيل التي نشرها العلماء في القرون السابقة إشباعا لرغبتهم الترفيهية و إرضاء لعدواتهم نحو الإسلام،

---

[69] - أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 76.

[70] - المرجع نفسه، ص 77.

[71] - نفسه، ص 77، 78.

و تقليلا من شان أتباعه و دورهم في إيقاظ العقل الإنساني و تحريره من قيوده و جهالته.[72]

حيث شهد الإستشراق في القرنين السادس عشر و السابع عشر ازدهار كبير في النواحي العلمية و الدراسية المتخصصة، و عندما أقبل القرن الثامن عشر كان الإستشراق قد ثبت أقدامه و وطد مراكزه و استقل كيانه و رسم اتجاهه و حدد معالمه، و تأثر بعوامل عديدة من أشهرها: إنشاء كرسيين للعربية في جامعتي أكسفورد، و كامبريدج، و التوسع الأوروبي في الشرق الأقصى و لاسيما بالهند.

و في هذا القرن بالذات شقت الدول الأوروبية طريقها إلى الشرق الأقصى و رسخت أقدامها فيه و بدأ حصارها حول العالم العربي يضيق و أخذ التنافس بينها يشتد حيث أرادت كل منها أن تسبق الأخرى في استعمار و استغلال شعوب آسيا و أفريقيا، و أينما اتجهت الدول الأوروبية في تلك الفترة كانت أنظارها تتعلق بالعالم العربي، و لما لم تستطع النفوذ إلى داخله أخذت ترسل بعثاتها و كثيرا ما نجح الرحالة في الحصول على معارف جديدة و نقلها إلى بلادهم.[73]

كما أثرت الأحداث التي وقعت في القرن الثامن عشر في حركة الإستشراق تأثيرا كبيرا، إذ جاء "نابليون" إلى مصر و جيوشه و علمائه سنة، 1798 و قرر أن يستغل اللغة العربية في تحقيق أماله و أهدافه، و كانت الحملة الفرنسية أول مشروع رمى إلى تكوين شرقية من الأجزاء العربية التابعة للدولة العثمانية، و قد استغل "بونابارت" مقومات العروبة فلجأ إلى اللغة العربية في كتابه منشوراته و لوائحه و طبع كتبا في تعليم العربية و هجائها بالمطابع الفرنسية المرافقة للحملة، و شجع العناصر العربية في البلاد فكون منها دواوينه و جعلهم أهل مشورته، و قد أدى كل ذلك إلى توسيع دائرة الإستشراق و ازدياد عناية البلدان الأوروبية بآداب العرب و ثقافتهم و خاصة الدول المتنازعة على العالم العربي.[74]

[72]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 79.
[73] - المرجع نفسه، ص 80.
[74] - نفسه، ص 80.

أولا: اتجاهات الإستشراق

لقد كانت حركة الإستشراق في بدايتها الأولى هواية العقول الذكية في الغرب التي كانت تتطلع إلى الشرق لتفوق أهله علميا و ثقافيا و أدبيا، وازدادت تلك الهوية، قوة و عنفا حينما امتزج بها التعصب عصب الديني في نفوس الغربيين الذين أيقنوا أنهم أما حضارة زاهرة و عقيدة قوية لا تقبل زيفا و لا انحرافا، فأرادوا أن يواجهوها في أرضها، فامتلأت قلوبهم غلا و حقدا على الشرقيين و أعماهم، التعصب القومي، و أحسوا في أعماقهم بالمهانة، فأعدوا العدة للثأر بأي طريقة، فجعلوا أكبر همهم طلب معرفة تفوق الشرق عليهم علميا و حضاريا، و بدؤوا يسلكون سبلا علمية خالصة للوصول إليها، و قد ساروا في بحوثهم في اتجاهين رئيسيين هما:

1- الاتجاه العقدي:

2- الاتجاه العلمي: [1]

1) الاتجاه العقدي:

أما الاتجاه العقدي فقد نشأ منذ أن بدأت المواجهة بين المسيحية و الإسلام، و إذ أحس أتباع المسيح أنهم أمام خطر يجب عليهم مواجهته، و قد بدأت هذه المواجهة إثر انطلاقة الإسلام من الجزيرة و استمرت منذ اليوم، فبدأ بحثها يوحنا الدمشقي برسالته المشهورة و يعترف بذلك القس بيد في كتابة "التاريخ الكنسي للزوايا" قائلا: "يبدوا أن قليلا من البحث قد جرى بشأن هذا الشعب الذي كان يمثل كارثة بالنسبة للشعوب المسيحية الغربية".[2]

و على الرغم من انتشار الإسلام السريع بين الأوساط المسيحية عندئذ و إسلام عدد كبير من النورمانديين و السلفيين و المجريين و غيرهم، و ما قدمه المسلمون للشعوب المسيحية من خبر، فقد بقي الإسلام في نظر المسيحيين عدوا رئيسيا.[3]

[1]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 86، 87.
[2]- المرجع نفسه، ص 87.
[3]- نفسه، ص 88.

و حقيقة أن العلماء و رجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام، و كانوا يتصلون بها على نطاق كبير، فبذلوا جهود جبارة لإثارة الشبهات و الأباطيل حول الإسلام فاندفع عدد منهم من علماء الغرب إلى البحث و التنقيب جريا وراء براهين زائفة للتشكيك في الإسلام و تشويه شريعته و توهين عقيدته، و كانوا يستندون في الترويج لأباطيلهم و ترهاتهم على أساطير مستمدة من الفولكلور العام و من الأدب القديم، و من النصوص البيزنطية عن الإسلام و من الروايات الإسلامية التي حرفها مسيحيو الشرق بطريقة شائنة.[4]

و عندما نشبت الحروب الصليبية و اتصل الغرب عن قرب بالشرق بدأت الرؤية الأيديولوجية تزداد وضوحا لدى علماء المسيحية، فراح نفر من المتحمسين في أسباب الهزيمة التي لحقت بالغرب و ظهرت في القرنين الرابع عشر و الخامس عشر مشروعات كثيرة لإعانة الكرة و محاولة اقتحام ديار الإسلام، فلقد كانت هناك حوافز عديدة لإعادة الكرة، بعضها دينية و سياسية، و أخرى اقتصادية و عسكرية و يختلط بعضها بالبعض الآخر، و يصعب الفصل فيما بينها مما يبرر وضعها في إطار واحد و تسميتها بالاتجاه العقدي في الإستشراق و ذلك لشموله و تشعبه و عمق بذوره.[5]

و بعد انتهاء الحروب الصليبية أحس الغرب أنه في حاجة ماسة للمقارنة بين دينه و دين عدوه الذي هزمه هزيمة منكرة، و بدأ يخطط للتبشير بالمسيحية من جديد مما استلزم ازدياد دراسة العربية لتكون عونا و سندا لأهدافه و أطماعه و تزعم روجو بيكون و بعده ريمو ندلال دعوة استبدال الجهد العسكري ضد الإسلام بجهد تبشير و يقوم على البحث في العقيدة الإسلامية و تعلم اللغات الشرقية و خاصة العربية.[6]

و مما لاشك فيه أن الكتب التي أصدرها كتاب المسيحية حتى القرن الخامس عشر قد عجز أصحابها عن تجنب الأحقاد و الكراهية نحو الإسلام، كما عجزت الدول المسيحية عن وقف فتوحاته و انتشار حضارته في البلاد الأوروبية، فسرعان ما حدث بعض التغيرات

[4]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 88، 89.
[5]- المرجع نفسه، ص 89.
[6]- نفسه، ص 90.

الأيديولوجية في أوساطها الأوروبية، إذ عقدت بعض عناصرها الذكية عزمها متأثرة باختلاطها بالمسلمين عن أن تحرر نفسها من السيطرة الكنيسة و من هذه الرؤية العقيدة الجديدة التي تتسم بالتسامح النسبي بدأت أوروبا تنظر إلى الإسلام و أتباعه بشيء من الإنصاف و الموضوعية.[7]

فعندما اتسمت الأيديولوجية الأوروبية بهذه العقلية الإستشراقية تأثرت العقول العلمية و الفكرية و الأدبية باتجاهها العقدي الجديد و قد ظهرت في تلك الآونة مؤلف أخفى اسمه و لعله فعل ذلك خوفا من العقاب، فأصدر كتابا مثيرا و استفزازيا عام 1720 بعنوان "محمد ليس مظللا".

فمما لاشك فيه أن هذا الاتجاه العقدي الذي طرأ من جديد على الإستشراق كان خطيرا إذ لم يلق إلا مزيدا من النار المتأججة من قبل بين الشرق و الغرب.[8]

و ليس أدل على خطورة الاتجاه العقدي للإستشراق ن بروزه لدى المستشرقين اليهود الذين يركزون على جهودهم، سوى عدد قليل منهم، على هذه الناحية بالذات لرغبتهم في تحطيم الإسلام و مساعدتهم للصهيونية، حيث أقبلوا على الإستشراق لأسباب دينية، و هي محاولة إضعاف الإسلام و التشكيك في قيمته و إثبات فضل اليهود على الإسلام بإدعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول.

و مما لا ريب فيه أن هناك محاولات إيجابية بين أصحاب الاتجاه العقدي للإستشراق حيث يعترف بعضهم أن العالم الرأسمالي و الاشتراكي على حد سواء، سوف يضطران إن عاجلا أم آجلا إلى استقلال الفكر الإسلامي الخلاق، إذ أرادوا أن يواجهوا الاتجاهات العقدية المعاصرة و أن يوجهوا هذه الاتجاهات نحو موضوعية أوسع و أنفع، أما فيما يتعلق بالمستشرقين أنفسهم فقد قامت في صفوفهم في السنوات الأخيرة محاولات إيجابية للنفوذ

[7]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 90.
[8]- المرجع نفسه، ص 91، 92.

بصدق و إخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين بدل السطحية التي اصطبغت بها دراساتهم السابقة.[9]

و نعتقد أن أبرز محاولات الإستشراق الايجابية التي ظهرت في الآونة الأخيرة و هي محاولة التعاون العقدي مع عناصر الإسلام العلمية حيث تنعقد مؤتمرات دراسية يشترك فيها علماء الإستشراق و علماء الإسلام معا يبحثون في القضايا العقدية المعاصرة التي تتعلق بالإسلام و المسيحية و العقائد الأخرى و علاقاتهما معها و تأثيرهما فيها و تأثيرهما بها.[10]

2) الاتجاه العلمي:

أما الاتجاه العلمي، فلا نكاد نصادفه إلا في الحقب الأخيرة و إن ظهرت براعيمه من وقت لأخر، من قبل إذ كانت الأيديولوجية الكنيسة تسيطر على الاستشراق بقوة و حزم و تتعقب عناصره العلمية، و هكذا لم تكن لديه الفرصة المواتية لينهج طريقا علميا إلا بعد أن انفصل عن أيديولوجية اللاهوت، و كون ذاته و كيانه و لكن بعد أن تخلص الإستشراق من سيطرة الكنيسة، سيطرت عليه أيديولوجية الاستعمار، و استطاعت أن تسخر في سبيلها و تحركه لخدمة أهدافها.[11]

فسرعان ما ساعدت تلك الأيديولوجية الجديدة على تحول حركة الاستشراق إلى العلمية، و الموضوعية و التخصصية التي أخذت تساير الاتجاهات الحديثة بمناهج البحث العلمي، فلم تعد دراسة اللغات الآداب الشرقية مقصورة على خدمة التبشير، بل ظهرت نزعة قوية أو ضعيفة إلى تحرير هذه الدراسات من هذه الأغراض و الاتجاه بها إلى البحث العلمي المستقبل الذي يتحرى دراسة الآداب و الأديان و الكتب الدينية لذاتها مستهدفا المعرفة وحدها، و مما لاشك فيه أن البحث في المخطوطات العربية لم يكن يستهدف الوقوف في صورة للإسلام أو للعالم الإسلامي، و لكنه كان يقصد الحصول على معرفة موضوعية بهذه

---

[9]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 94.
[10]- المرجع نفسه، ص 95.
[11]- نفسه، ص 96.

الدنيا، و لكن بحكم الظروف كان الباحث يحصل في نهاية الأمر على بعض المعلومات عن النظرة الإسلامية لهذه المعرفة، و من هنا أحس الغرب أنه قد فرض عليه أن يغير نظرته إلى الشرق و يتجرد قدر استطاعته من نزواته الأيديولوجية و اتجاهاته الفلسفية و آرائه السياسية لكي يتمكن من القيام بالبحث العلمي على وجه أكمل و أداء واجبه الاجتماعي على نحو أسمى.[12]

و هكذا فقد بدأت دراسات العربية لخدمة التبشير و تطورت في القرن التاسع عشر لتخدم البحث العلمي في اللغة، حيث كان يخطو بخطوات علمية المنهج و موضوعية الدرس مما أدى إلى ظهور دراساته القيمة و آرائه البنّاءة على الرغم من عدم تحرره تماما من عناصره العقدية التي ظلت تسيطر عليه حتى يومنا هذا، وازدهرت في القرن العشرين صورة أبحاث عن اللهجات و أطاليس لغوية و دراسات عن الفصحى و معاجم تدخل العربية طرقا فيها.[13]

كما بدأ تبادل البعثات العلمية بين الشرق و الغرب، فسافر طلاب الشرق إلى الغرب ليتعلموا فيه، و ذهب بعض علماء العرب ليتعلموا أبناء الغرب في معاهده العلمية التي اختصت بالدراسات العربية الإسلامية، و عينت بتعليم اللغة العربية و لهجاتها المختلفة، لكي تزود أبناءها بسلاح للتعامل مع شعوب الشرق أكثر جدارة و أخطر نفوذ.[14]

و مع حركة المد الاستعماري ظهرت الحاجة و الرغبة في بعض الدول الأوروبية إلى إعداد نفر من أبناءها إعدادا لغويا متينا حتى يستطيعوا التعامل مع المستعمرات بلغاتها و بلهجاتها، و كان مظهر هذا الاهتمام تعيين مدرسين عرب في الجامعات الأوروبية لتدريس اللهجات العربية و للتأليف فيها، و من بينهم إلياس بقطر فكان أول مدرس شغل كرسي العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس.[15]

[12]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 97.
[13]- المرجع نفسه، ص 97، 98.
[14]- نفسه، ص 98.
[15]- نفسه، ص 98.

نجد أن التطورات التي حدثت في الغرب في القرن التاسع عشر أدت إلى تطور بناء في عالم الإستشراق حيث يتضح:

1) أن من أسباب الاستعمار للشرق استشراق عدد ضخم من الغربيين و انخراطهم في تعلم العربية.

2) أنه استعان تحقيقا لمنفعته بأساتذته من العرب في تعليم العربية، مما أثر في الإستشراق و دفعه نحو موضوعية علمية و منهجية بحته.

3) أن الآداب الغربية تأثرت بساحرية الشرق، حيث اعتبر الشرق مكانا يبحث فيه عن الرومانسية العليا.

4) أن القيود اللاهوتية قد تحطمت نسبيا في ميدان البحث الاستشراقي.

5) أن الغرب حاول الاقتراب من فهم الفكر الإسلامي على الرغم من نزعته في تقليل شأن كل حضارة سوى حضارته.[16]

فقد قام أصحاب هذا الاتجاه بجهد جبار في تطوير دراسات الإستشراق، و دفعوها إلى الأمام و نشروا كثيرا من البحوث في شتى قضايا الإسلام و اللغة العربية و آدابها و حققوا المخطوطات و جروا وراءها و كتبوا المؤلفات و بحثوا الموضوعات التي تتعلق بالعلوم الإسلامية و العربية و آدابها و آمال شعوبها، و وقائع تاريخها، و حلول مشاكلها. و مع ذلك نجد أن المستشرقين الذين يحاولون بكل ما في وسعهم أن يكونوا موضوعين، لم يستطيعوا تجنب الانزلاق إلى نزوات ذاتية و أحكام سالفة عن الإسلام و آدابه، فترسبت في عقولهم خلال قرون مضت، و أحداث وقعت بين الشرق و الغرب.

و من هنا نجد أنه من الصعوبة بمكان أن نفصل فصلا حاسما بين الاتجاهين: العقدي و العلمي، حيث ظل الأول يسيطر على الثاني حتى يومنا هذا.[17]

و مع ذلك العلم أن هذا الاتجاه العلمي للإستشراق لم يزل في بداية طريقه، على الرغم مما قدم إلى العالم من دراسات قيمة و بحوث نفيسة، إذ يجب عليه أن يقوم بثورة منهجية

[16]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 99.
[17]- المرجع نفسه، ص 100، 101.

خطيرة ليحرر نفسه من عقدة أيديولوجية نحو الشرق عامة، و الإسلام و شعوبه خاصة، و يتجنب أي نوع من الانعكاسات الذاتية و الأحكام السابقة، و عليه أن يلبس رداء الإسلام ثم يبحث في الإسلام و عقيدته، و حضارته و آدابه، و عندئذ فقط سيتمكن من الوصول إلى نظريات ذات قيمة علمية عظيمة و سيتجنب أمر الصراع الفعلي و المشاحنات الفكرية.[18]

ثانيا: مناهج الإستشراق

لقد استأثر التاريخ الإسلامي للعالم العربي اهتمام المستشرقين الذين أولوه عناية خاصة، و حاولوا بجهد كبير تطوير حقل الدراسات التاريخية و ابتكار أساليب منهجه جديدة، و طرحوا نظريات و فروض عديدة كانت نتيجة لتأثرهم البالغ بالنظرية الاجتماعية (السيسيولوجية و الانتروبولوجية) و حتى السيكولوجية.[19]

و لكن نضع في حسابنا أن إتباع منهج ما لدراسة الظواهر المختلفة، فقد يفيد هذا المنهج في دراسة ظاهرة محددة أو موضوع بعينه في بيئة معينة، بينما يأتي نفس المنهج بنتائج خاطئة إذا ما طبق على موضوع آخر مشابه في بيئة أخرى.[20]

1) المنهج التاريخي:

يعد أول المناهج في معالجة المستشرقين للدراسات الإسلامية على وجه الخصوص هو ما يسمى بالمنهج التاريخي، و هو عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية، و تبويبها و ترتيبها ثم الإخبار عنها و التعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها، و الهدف من هذا المنهج هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات و المعارف المتعلقة بموضوع الدراسة، و يتخلص دور الباحث هنا في إرجاع الظواهر الفكرية وردها أصولها الأولى.[21]

[18]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 102.
[19]- عادل الألوسي: "التراث العربي المستشرقين- دراسة عن ظهور الكتاب العربي و نفائس الكتب العربية التي طبعت في الغرب-"،دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2001م، ص 17.
[20]-محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 38.
[21]- المرجع نفسه، ص 39.

و نظرا لأن المستشرقين أنفسهم كانوا وسيلة جمع المعلومات، و نظرا لخضوع غالبيتهم لأغراض محددة تتعلق بالدوافع الإستشراقية، فإن تطبيق مثل المنهج لا يحقق الموضوعية المرجوة، هذا من ناحية، و من ناحية أخرى. قد يصلح مثل هذا المنهج التاريخي في دراسة المسيحية في أوروبا، حيث نشأت في بيئة دينية حفلت بالعوامل المؤثرة من الخارج – كبابلية و الأشورية و غيرها – على النص الديني المسيحي ذاته، و من ثم بإمكان الباحث أن يرد مكونات المسيحية إلى عناصرها الأولى، و لكن هذا المنهج لا يحقق الموضوعية في دراسة الظواهر الفكرية الإسلامية، إذ أنها موضوعات فكرية مستقلة و ليست مادية تاريخية، و لذلك تكون النتائج المستخلصة من تطبيق هذا المنهج على الدراسات الإسلامية خاطئة و مضللة.[22]

يقول "رودي بارت": ...فنحن معشر المستشرقين. عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية و العلوم الإسلامية لا نقوم بها فقط لكي تبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، و مظاهره المختلفة، و الذي عبر عنه الأدب العربي كتابه، و نحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نمعن فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما بثبت أمام النقد التاريخي أو يبدوا و كأنه يثبت أمامه، و نحن في هذا نطبق على الإسلام و تاريخه، و على المؤلفات العربية التي تشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبق على الإسلام تاريخ الفكر عندنا و على المصادر المدونة لعالم نحن"[23] فنجد هنا بارت يحاول أن يثبت براءته و أقرانه من أي اتهام بعد الموضوعية، فإن نهاية عبارته أكبر دليل إدانة على عدم الموضوعية، فتطبيق المنهج التاريخي، أو أية معايير أخرى على فكر ما، ليس معناه صلاحية هذا المنهج أو تلك المعايير على سائر أفكار الأمم، إن تمحور الأوروبيين حول ذات

[22]-محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 39.
[23]- محمد حمدي زقزوق: "الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، دار المعارف، القاهرة، 1997م، ص 81.

جعلهم يرون في أنفسهم المعيار الأحد الذي يقاس عليه الآخرون، و هذا هو نتائج التعصب الأوروبي و تضخم الذات الأوروبية.[24]

مثلما عرض أحد المستشرقين المعاصرين هو (جاستون فييت) في كتابه "مجد الإسلام" تاريخ الإسلام عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين و الكتاب المعاصرين و كل فترة من فترات هذا التاريخ، و على الرغم من ذلك فإن هذا الكتاب ينصح بالحقد و الطعن في الإسلام و تاريخه الآن "جاكسون فييت" اختار فقط النصوص التي تتفق مع الاتجاه الذي اختاره هو سلفا، و هو اتجاه يقسم بالعداء و الكراهية للإسلام و المسلمين.

إن المستشرقين لا يترددون في الاعتماد على الأحاديث الضعيفة، فهم ينقبون في طوايا كتب التاريخ و السير عن أخبار ضعيفة غير ثابتة يدعمون بها آراءهم، و لهم صبر لا ينفذ في استكشاف هذه المخبوءات و استغلال الضعيف من الدلالات، و مهما يكن من شيء فهم يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل، و كثيرا ما يغفلون النصوص و الأخبار التي تناقض ما يقررون.[25]

2) منهج التأثير و التأثر:

من شأن هذا المنهج أن يرد الظواهر إلى العوامل الخارجية التي أثرت في قيامها، و من ثم استخدم المستشرقين هذا المنهج في دراساتهم للوحي الإلاهي و الفقه الإسلامي و السنة النبوية الشريفة و الفلسفة الإسلامية و حاولوا رد كل موضوع إلى تأثيرات سابقة، مما يعني عدم أصالة الدين الإسلامي برمته فعلى سبيل المثال يردون التوحيد الإسلامي إلى تأثير يهودي على الرغم من البون الشاسع بينهما، و يرجعون الفلسفة الإسلامية إلى أصول يونانية و التصوف الإسلامي ليس إلا صدى للفارسي أو الهندي إن هؤلاء المستشرقين لا يقتنعون

---

[24]-محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 40.

[25]- محمد حمدي زقزوق: "الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، ص 82.

بأن التفاعل الحضاري يحدث أثره كما التقت حضارتان مع احتفاظ كل منهما بسماته و خصائصه الفارقة. و تلك سنة من سنن الحياة الثابتة.[26]

و إذا كان من المجدي تطبيق منهج التأثير و التأثر على البيئة الأوروبية التي قامت نهضتها على الحضارة اليونانية، و حيث نجد نظائر للمذاهب الفكرية و الدينية المسيحية- بخاصة ما يتعلق منها بمقاومة سلطة الكنيسة- في الحضارة اليونانية القديمة، فإنه من الإفك و البهتان أن نطبق هذا المفهوم الإستشراقي للحضارة الأوربية على الحضارة الإسلامية، تلك الحضارة ذات المعايير الدينية و البيئية الأصلية، المستمدة أصولها من الجزيرة العربية، و تعاليم الإسلام.

و يمكن أن نجد نماذج هذا المنهج فيما ذهب إليه "حب" في كتابة "المذهب المحمدي" حيث قال:

"إن محمدا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديدا بين الأفكار و العقائد السائدة في زمانه، و الدائرة في المكان الذي نشأ فيه...و انطباع هذا الدور الممتاز لمكة يمكن أن نقف على أثره واضحا في كل أدوار حياة محمد، و بتعبير إنساني: إن محمدا نجح، لأنه واحدا من المكيين"

ففي العبارة السابقة و الموجزة للمستشرق "جب"، يرد الإسلام لتأثير الظروف المحيطة بمحمد- عليه الصلاة و السلام- و لتأثير العقائد السائدة في زمانه، بل إن حياة محمد ما هي إلا نتيجة تأثيرات مكة على شخصه.[27]

3) المنهج الإسقاطي:

يتجه بعض المستشرقين إلى دراسة الظواهر الإسلامية و في أذهانهم صورة معينة لأفكار معينة لا توجد من الناحية الفعلية، لكنهم يسعون لإيجادها في أذهانهم و يلتمسون لها الحلول

[26]-محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 40.
[27]- المرجع نفسه، ص 41.

و الفروض مهما كانت منتفية، و إذا وجدت الظاهرة الفكرية بالفعل و لكن لا محل لها من تصوراتهم، فإنهم يحاولون نفيها مهما كانت صحة وجودها.

و يتفق مثل هذا المنهج مع تصور مشابه يطلق عليه البعض المنهج العكسي في دراسة الظواهر الإسلامية، و هو ذلك المنهج الذي يأتي إلى أوثق الأخبار و أصدق الأنباء فيقلبها عمدا إلى عكسها وفقا لتصور مسبق يسيطر عليه ذهن الدارس أو الباحث.

و تطبيق هذا الوجه أو ذاك على الدراسات الإسلامية من جانب المستشرقين "ويلز" الذي تخيل النبي –صلى الله عليه و سلم- رجلا دفعته تطلعاته و طموحاته في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين، فألف مجموعة من عقائد خرافية و آداب سطحية و قام بنشرها قومه، فاتبعها رجال منهم.[28]

4) المنهج التحليلي:

و يعمد هذا المنهج إلى تحليل و تفتيت الظاهرة الفكرية موضوع الدراسة إلى مجموعة من المكونات و العناصر، يتم التأليف بينها بصورة غير متجانسة، فالمنهج التحليلي في دراسته للظاهرة يردها إلى عناصرها الأولية لا للظروف الدينية أو الاجتماعية أو السياسية، و خطورة تطبيق مثل هذا المنهج تمكن في حتمية تأثر المستشرق ببيئته و ثقافته و دينه و حضارته و من ثم لا يمكن أن يصل إلى نتائج سليمة فيها يتعلق بدراسة الظواهر الإسلامية، إن الأخذ بهذا المنهج قد أدى إلى الحكم على الحضارة الإسلامية بالجدب، و على الدين بالجمود، و على الوحي بالاضطراب و على التوحيد بالتجريد و على الشعوب بالتخلف.

و قد عارض المستشرق السويدي "تور أندريه" صاحب كتاب (محمد – حياته و عقيدته) هذا المنهج العقيم الذي اتخذه بعض المستشرقين في دراساتهم، و بين أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية، و يرى "أندريه" أن مهمة الباحث

[28]-محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 44، 45.

تتمثل في أن يدرك في نظرة موضوعية كيف تتألف من العناصر و المؤثرات المختلفة وحدة جديدة أصلية تنبض بالحياة، فالإسلام لا ينكر صلاته بالمسيحية و اليهودية و عقيدة الحنيفة و تقاليد العرب، و لكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر.[29]

5)المنهج الوصفي:

إن مما يتميز به المنهج الوصفي الاهتمام بواقع الظاهرة اللغوية، و ليس بتاريخ تطورها.

و انطلاقا من هذه النظرة كان يغلب على أصحاب هذا المنهج العزوف عن دراسة اللغات القديمة كالسنسكريتيه، اليونانية القديمة، و اللاتينية، فقد بادت هذه اللغات و لم يعد يسعف في وصفها إلى الاعتماد على القدرة الناقصة الكتابة و قواعد الإملاء، و في المقابل هذا العزوف كان إقبالهم على دراسة اللغات الحية، لتوصيفها كما هي، و ليس كما كانت.

و يقابل على هذا الصعيد الدراسات الإستشراقية، تلك البحوث التي تصف العربية الفصحى من خلال استعمالها المعاصر، و على هذا فقد تعاملوا مع العربية الفصحى على أنها تمثل صعيدين متقابلين متباينين "الفصحى القديمة"، و يسمونها العربية الكلاسيكية على ما يسمون اللغات القديمة كاليونانية و اللاتينية، و أما الصعيد الآخر فهو "الفصحى المعاصرة" و يطلقون هذه التسمية على العربية التي تربط بين الناطقين بالعربية في أيامنا على صعيد الحياة الثقافية و الرسمية، و هي تحظى بالقيمة الحقيقة لمواصفات المنهج الوصفي بمقدار تحققها في الاستعمال المنطوق، و على هذا كانت العاميات العربية أقرب إلى تجسيد المعنى الحقيقي للغة في نظر الوصفيين.

و في هذا المعنى يقول "ستتكيفتش": "إن العربية الحديثة تظهر إلى الوجود بقدر ما يحدث فيها من تغيير يجعلها مختلفة عن العربية القديمة"، و مما يؤكد أنهم لا يعدون الخروج على قواعد النحاة من باب الخطأ اللغوي – ما قاله" و – فيشر": "وفقا لهذا النظام و يعني قواعد

[29]-محمد جلاء إدريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 45.

النحاة، أصبح ينظر إلى كل تغيير باعتباره خطأ أو انحرافا بتأثير من اللغة الدارجة Vulgarismesلا على أنه تغيير في طرائق الاستعمال اللغوي".[30]

و ثمة أمر لا يسلم به لأصحاب الاتجاه الوصفي، و هو تنكرهم للنصوص المكتوبة، بيد أن تشديد نكير على أن توصف اللغة من خلال النصوص المكتوبة، فيه قدر من المغالاة، بل هو يفوت الفرصة التي يتميز بها النص التراثي أحيانا، فمن المعلوم أن من أسباب الاختلاف اللهجات المنطوقة عن الفصحى، أن الناس قد يتباينون في النبر و التنغيم، و الحذف و الإثبات...و غيرها من الظواهر اللغوية التي قد يكون النص المكتوب فيها أكثر ثبوتا و استقرارا من المنطوق، و إلى جانب ذلك فإن النصوص المكتوبة قد استقرت معانيها و دلالاتها أكثر من النصوص المنطوقة التي ظلت على مستوى النطق المتداول على صعيد الحياة اليومية.[31]

6) منهج الشك الديكارتي:

هناك جانب من المستشرقين طبق منهج الشك الديكارتي كقاعدة صلبة لتحليل تراثها الإسلامي الحضاري، فراحوا يتشككون في نصوص القرآن، و في نسبة السنة النبوية، و في صدق الوحي، و في جمع القرآن، و هكذا، بل لقد درب هؤلاء المستشرقين أتباعهم ممن تتلمذ على أيديهم من العرب و المسلمين، على استخدام هذا المنهج، فخرج علينا من بين جلدتنا من شكك في صحة النص القرآني، بل و في مضمونه.

و من الغريب ألا يطبق هؤلاء المستشرقين و أتباعهم نفس هذا المنهج على ميراثهم الإستشراقي ليصلوا إلى التيقن من صدقة و حقيقة، لو طبقوا منهج الشك في هذا التراث ما وجدوا لهم شيئا ذا قيمة يعول عليه، إن السس السفلى للإستشراق لم تخضع لمنهج الشك هذا، بل اتخذت كمسلمات و حقائق، و هذا ينافي طرق البحث لعلمي المنهجي.[32]

---

[30]- إسماعيل أحمد عمايرة: "المستشرقون و المناهج اللغوية"، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ط3، 2002م، ص 92، 93.
[31]- المرجع نفسه، ص 99.
[32]- محمد جلاء ادريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 45، 46.

7)- منهج البناء و الهدم:

يعتمد هذا المنهج على عنصرين بارزين هما: البناء أول، بمعنى الإطراء و المديح من قبل المستشرق لبعض جوانب الظاهرة موضوع الدراسة، بحيث تكون هذه الجوانب غير رئيسية في الموضوع برمته، ثم الهدم ثانيا و فيه يجرد الباحث أهم أركان موضوعه من كل مقوماته حتى يسقطه تماما.

بمعنى أن يكيل المستشرق مديحه و ثنائه على بعض الظواهر الإسلامية كتحرير المرأة، و الأخلاق السامية التي دعائمها الإسلام فينطلق القارئ مع هذا المديح، مصدقا لنوايا صاحبه بمقولاته و مسبغا عليه سمات الموضوعية و الإنصاف، ثم لا نلبث أن نواجه ضربات قاصمة للعقيدة ذاتها.

و لقد وجدت هذا المنهج في كتاب حضارة العرب للمستشرق جوستاف لوبون، و الذي ترجم إلى العربية وطبع عشرات المرات، و قرظه الباحثون و الدارسون المسلمون، فجوستاف لوبون يشيد بما حققه الإسلام من مكاسب للعرب في الجزيرة العربية، و كيف أنه رد للمرأة اعتبارها و كيانها، و كيف أن الإسلام قد فعل كذا و كذا، ثم وسط هذا "البناء" نجده يوجه معاول "الهدم" تجاه القرآن الكريم، فيرى أنه من تأليف محمد، بل يهدم شخصية محمد – صلى الله عليه وسلم- كرسول و نبي، فيرميه بالهوس و الجنون، و يتهمه بالصرع، و كيف كانت أميته سببا في التناقضات الموجودة في القرآن.[33]

8)- منهج المطابقة و المقابلة:

و هو ما يسمى أحيانا بالمنهج الفيلولوجي، و يعتمد على المقارنة و المطابقة بين النصوص، و تحليل النصوص إلى عناصرها الأولى و إرجاعها إلى أخرى سابقة لها، و يمكن الخطأ في هذا المنهج من جراء فرضية علمية رسخت في ذهن المستشرقين طبقا لأحكام مسبقة مفادها أن هذه النصوص القرآنية التي يدرسونها ليست إلا صورة لما ورد هنا و هناك قبل بعثة النبي – صلى الله عليه و سلم -، فكلما تطابقت ملامح نص قرآني سابق، سارعوا برد ذلك إلى ثقافة الرسول التاريخية، و إلى إطلاعه على ما جاء في الكتب السابقة،

---

[33]- محمد جلاء ادريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 46، 47.

أما حين يوجد اختلاف، فلا يردون ذلك لما حل بنصوصهم من تغيير و تبديل و تحريف، و إنما يلصقون تهمة التحريف و التبديل بالإسلام ذاته.

حتى تلك المحاولات التي قام بها المستشرقون الأوروبيون باستخدام هذا المنهج لرد النصوص القرآنية إلى نصوص عربية أدبية جاهلية قد باءت بالفشل، إذا لم يعثر على نص كامل من نصوص الأدب العربي قبل الإسلام يمكن مقارنته بآيات من القرآن، و من هنا، نؤكد على عدم صلاحية منهج المطابقة و المقابلة بين النصوص لدراسة الظواهر الإسلامية الرئيسية كالنص القرآني.[34]

و من نماذج مطابقة النص القرآني مع نصوص الأدب الجاهلي نجد المستشرق كليمان هوار يزعم أنه اكتشف مصدرا جديدا للقرآن هو شعر أمية بن أبي الصلت، و قارن بينه و بين بعض آيات القرآن، و استنتج صحة هذا الشعر بالفروق الواردة فيه و في القرآن، و رغم أنه لو كان هذا الشعر منحولا لتطابق نصه مع نص القرآن، و قد كانت استعانة النبي به في نظم القرآن سببا في مقاومة المسلمين له و محوه حتى يصح انفراد النبي بتلقي الوحي من السماء.

و لا نجد في الرد على هذا المستشرق أبلغ من رد طه حسين عليه في كتابه في الأدب الجاهلي حين قال: "و الغريب في أمر المستشرقين في هذا الموضوع و أمثاله أنهم يشكون في صحة (السيرة) نفسها، و يتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرونها مصدرا تاريخيا صحيحا، و إنما هي عندهم كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعا طائفة من الأخطاء و الأحاديث تحتاج إلى التحقيق و البحث العلمي الدقيق، ليمتاز صحيحها من منحولها، هم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة و يلغون في هذا الموقف، و لكنهم يقفون من أمية و شعره موقف المتقين المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق من الأخبار دون الآخر؟ أيكون المستشرقون أنفسهم لم يبرؤوا من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات".[35]

---

[34]- محمد جلاء ادريس: "الإستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 41، 42.

[35]- المرجع نفسه، ص 43، 44.

المنهج الإحصائي:

يهتم هذا المنهج بالوقوف على الظواهر اللغوية الأكثر شيوعا في اللغة الواحدة، و قد توالت المحاولات الإحصائية التي تستهدف إحصاء أكثر المفردات شيوعا، ثم أكثر التراكيب النحوية استعمالا.

و قد انعكس هذا المنهج على أعمال المستشرقين، فقد أخذ كثير منهم بإتباع المنهج الوصفي الإحصائي في دراسة العربية.

و من وجهود المستشرقين في مجال المفردات تلك القوائم الإحصائية، أشهر الكلمات شيوعا في العربية، و من ذلك القائمة التي استخلص من لغة الصحافة العربية فيما بين سنتي 1937 – 1939 و هي قائمة بريل.Brill.

و تليها زمنا قائما لاندوا Landou التي تناول فيها إلى جانب مفردات الصحافة الشائعة المفردات الأساسية للنثر الأدبي.

و ثمة قائمة بالألفاظ العربية الشائعة: فرنسي-عربي، عربي-فرنسي، و قد نشرت بعنوان: الرصيد اللغوي الوظيفي.

و آخر ما عده المستشرقون في هذا المجال القائمتين اللتين أعدهما المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين ضمن دراسات في النحو العربي – الألماني المقارن، و قد نقلت هاتين القائمتين إلى العربية فصدرتا في كتاب واحد عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: "الفعال الشائعة في العربية المعاصرة".[36]

و يستنتج في الأخير أنه قد يقدم المستشرق الواحد في تفسير الحضارة الإسلامية على مناهج متعددة، و لكنهم يلتقون في الغالب الأعمّ على هدف واحد، هو الوصول إلى ما يؤيّد اعتقادهم بأن الإسلام دين بشري من صنع عبقرية فردية أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية.[37]

[36]- إسماعيل أحمد عمايرة: "المستشرقون و المناهج اللغوية"، ص 150، 151، 152.

[37]- إسماعيل أحمد عمايرة: "المستشرقون و المناهج اللغوية"، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ط2، 2003، ص 430.

ثالثا: "خصائص الإستشراق":

يمكن أن نوجز خصائص الإستشراق في النقاط الآتية:

1- ظهرت بذوره الأولى في كنف اليونان القدامى قبل الميلاد بعدة قرون و بعده لفترة و يمكن اعتبار هرودوت و تيوفراست و استرابون و بلين و غيرهم من رواده الأوائل.

2- ولد في أحضان الأندلس الإسلامية في القرن الثامن الميلادي حيث كان الإسلام القوة الدافعة له.

3- عاش قرونا طويلة في كنف الأيديولوجية الكنيسة التي كانت ترعاه و توجهه و لا تزال تقوم بذلك حتى الآن إذ كان مصدرا للأفكار و كانت هي المنفذة لها.

4- مر في تاريخه الطويل بأطوار ثلاثة هي: التكوين و التقدم و الانطلاق.

5- أثمر نشاطه دراسات و بحوثا و اهتمامات و اكتشافات دفعت إلى ضرورة متابعة البحث فيه.

6- لعب دورا بارزا في بناء نظرية الأيديولوجية الاستعمارية و قام بحركات مريبة تهدف إلى زعزعة الثقة بشعوب البلاد المستعمرة و بدينها و حضارتها و آدابها.

7- كان تاريخه حافلا باتجاهات مختلفة يمكن تقسيمها إلى اتجاهين رئيسين هما: الاتجاه العقدي و الاتجاه العلمي و ذلك لما فيهما من شمول الجدل و موضوعية الدراسة.

8- بحث في كل ما يتعلق بلغات الشروق و آدابه، و اهتم بكل ما فيه من عادات و تقاليد و اتجاهات و أجناس و قوميات و أفكار.

9- أنشأ جمعيات و أكاديميات و فتح معاهد و كليات و نشر مجلات و مؤلفات، و أعد مطابع و عقد مؤتمرات و اقترح حلولا و عالج مشكلات و خلق أخرى.[38]

[38]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 104.

10- نظر في المخطوطات و حقق أعدادا هائلة منها و ساعده على ذلك عوامل عديدة منها وجود ألاف من المخطوطات العربية في مكتبات أوربا نقلت إليها في ظروف مختلفة مثل الحروب الصليبية و منحة العرب في الأندلس و الحملة الفرنسية و غيرها.[39]

11- قام أصحابه برحلات و جولات أدت إلى زيادة معرفة الغرب بالشرق و ما بينهما من علاقات و مفارقات و تأثير و تأثر و جدل و مناقشات و مشاحات.

12- عقد مؤتمرات عديدة كان أولها في باريس سنة 1873، و تبعته مؤتمرات أخرى، و من أوائل من حضرها من علماء العرب "عبد الله فكري" و "حمزة فتح الله" و "حفنى ناصف" و غيرهم، و كان آخرها في سيدني سنة 1971 و حضره من العلماء العرب إبراهيم مدكور.

13- قام بتنظيم الكتب العربية التي توجد في مكتبات أوروبا و وضع لها الفهارس و سهل الرجوع إليها.

14- ساعده في أداء مهمته عوامل عديدة منها معرفة أصحابه أكثر من لغة و مساعدة حكوماتهم لهم أدبيا و ماديا ثم سعة ثقافتهم و مواصلة دراستهم بجد و مثابرة.

15- لعب دورا بارزا في التعريف بالفكر الإسلامي عامة و آدابه خاصة و تقدير منزلتهما معا بين الفكر العالمي و آدابه.

16- رسم لنفسه منهجا مستقلا و امتازت دراساته بالتوسع و أعطى أصحابه مثالا لما يمكن أن يصل إليه الإنسان الدؤوب في عمله و بحثه.

17- أثار قضايا علمية و معضلات فلسفية و مشاكل اجتماعية و خلافات قومية ما أدى أحيانا إلى اصطدامات فكرية و مناقشات حامية بين علمائه و علماء الغرب.

18- تخصص كل فريق من علمائه في موضوعات بعينها نجد فريقا منهم يبحث في مسألة و آخر في أخرى و هكذا.

---

[39]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 105.

19- نشط في دراساته و بحوثه العربية و الإسلامية بدرجة يستحيل لفرد و ربما لجمع أن يحيط بكل ميادينها إحاطة علمية شاملة، و يكفي (الفهرس الإسلامي) وحده دليلا على ذلك، بالإضافة إلى تلك الدراسات التي نشرت في المجالات في الفترة من 1950، 1970 و التي لم يحصها أحد حتى الآن.[40]

20- اهتم الإستشراق بالعالم الإسلامي اهتماما بالغا و جعله قديما و حديثا ركيزة بحوثه و عنايته و ذلك لما له من مركز سام و قوة روحية تمكن فيه، و صلابة أيديولوجية في مواجهة التيارات الهدامة الحديثة مما يستدعى يقظة واعية من الباحث المسلم عند البحث في هذا المجال حيث يعتبر منفذا فريدا لانطلاقة الإسلام إلى آفاق الغرب على الرغم من محاولات التشكيك في قيمته و قوته.[41]

كما نجد "الهراوي" قسم المستشرقين في ثلاث فرق، قسم يختص بمباحث القرآن، وقسم يختص بمباحث سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم- و قسم يختص بالتاريخ العربي الإسلامي.

أما "داغر"، فقد أفرد صفحات عديدة في كتابه "المصادر الأدبية" تناول فيها مدارس الإستشراق بشيء من الإسهاب، و من الجلي هو أيضا بنى مذهبه على أساس التوزيع الجغرافي و لم يفعل ذلك فيما يتعلق بالمستشرقين فحسب، بل فيما يتعلق بمناطق اهتمامهم بها و بحثهم فيها فعنده أن علم الإستشراق هذا له مدارسه الخاصة و المقصود ب "المدارس" التيارات و المذاهب الخاصة للحركة الإستشراقية في الدول الأوروبية التي نهضت بأسبابها و طبعتها بطابع قومي وطني، فهناك مدرسة فنسية، و أخرى انجليزية، و غيرها ألمانية و روسية، و أسبانية، و إيطالية، و لكل هذه "المدارس" منهجية علمية خاصة بها تفردها و تميزها و خصائص علمية تفرق بينها و تميزها عما سواها و تحمل في جميعها الطابع

[40]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 105.
[41]-المرجع نفسه، ص 106.

الخلقي المميز الذي يطبع شعبا محددا في الزمان و المكان و العرق و العنصر.[42]

و بعد أن مر الباحث بتلك المزايا مر الكرام، تتبع مدارس الإستشراق واحدة إثر أخرى مركزا جهوده على دراسة سبع مدارس رئيسية: الفرنسية، الانجليزية، الألمانية، الروسية، الايطالية، الاسبانية، و الأمريكية مشيرا إلى خصائص كل منها، و مناهج بحثها و مناطق اهتمامها و ميادين نشاطها، و مميزات أصحابها.

نبدأ أولا بالمدرسة الفرنسية فتتميز بالوضوح في الإفصاح و الجلاء في التعبير و الدقة في البحث، فصاحبه يحاول على الدوام أن يعطيك عن الموضوع الذي يبحث فيه أصدق صورة و أتمها مجلوة بعبارة ناصفة واضحة لا يواجهها لبس أو غموض، و تركز اهتمامها على حضارات الشرق المختلفة عامة و حاضرة الهلال الخصيب خاصة، ثم أفريقيا الشمالية كلها، و الدول الإسلامية كذلك.

أما المدرسة الانجليزية فتتميز بما يتميز به الانجليزي من أخلاقية و مناقبية و صفائية، و يمتد اهتمام هذه المدرسة إلى حضارات الجزيرة العربية و ما جاورها عامة أما المدرسة الألمانية فلها فصل خاص بها.

و المدرسة الروسية فلها مميزاتها و مداها الخاص، فاستشراقها لا يخلو من عمق في النظر، و رأى صائب دقيق، تأليفي و تحليلي في آن واحد...فهو دقيق، واضح، جلي، موضوعي، واقعي و اختارت أن يكون ميدانها العلمي منطقة آسيا الوسطى و ما يتعلق بحضارتها القديمة والحديثة و علاقتها بالحضارة البيزنطية التي أسهمت في تكوين العقلية الروسية بقدر الكبير، و يبدو أنها وسعت نطاقها في السنوات الأخيرة فأخذت تهتم بكل ما يتعلق بالعالم و اتجاهاته الحديثة و مشاكله المعاصرة.[43]

[42]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 219، 220.

[43]-المرجع نفسه، ص 222، 223.

أما المدرسة الايطالية فلها طريقتها و مذهبها، يهمها قبل كل شيء الوضوح و الجلاء و نشاطاتها الاستشراقي الذي تمركز في الفاتيكان انصرف إلى الدروس الكتابية و ما يمت إلى هذه الدروس من بلدان الهلال الخصيب و لاسيما في فلسطين و مصر و العراق، و اهتمت هذه المدرسة اهتماما بالغا بدراسة آثار العرب في صقلية و أفريقيا الشمالية و البلدان العربية الأخرى.

أما المدرسة الاسبانية فلها دورها و قيمتها و خاصة إذا أخذت في الاعتبار تلك الثروة الثقافية الهائلة التي تركها العرب في اسبانيا كلها فهي تعني قبل كل شيء بالوضوح و الجلاء، فاهتمت بالحضارة العربية في اسبانيا اهتماما بالغا ثم المغرب و ذلك لصلتها الوثيقة بتاريخه و حضارته و تزعم صراحة أن التراث العربي في اسبانيا جزء لا يتجزأ من التراث أسبانيا نفسه.

أما المدرسة الأمريكية فهي على الرغم من حداثة عهدها حيث أنها امتداد طبيعي للإستشراق الانجليزي فقد تأصلت جذورها و تكونت خصائصها و إن تألفت في بدء الأمر من مستشرقين أوربيين و لبنانيين هاجروا إلى أمريكيا، فهم الذين رسموا للأمريكيين الذين شفقوا بالدراسات العربية الإسلامية منهج البحث و أساليبه فيها، و قد اهتمت هذه المدرسة بدراسة الشرق كله، و خاصة ما يتعلق بالعالم العربي من تقلبات سياسية و تطورت أيديولوجية، و خصائص فنية و ثورات حضارية و فلسفة إسلامية و إحصائيات سكانية، و ما شاكلها من معضلات و موضوعات.[44]

[44]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 223، 224.

خامسا: أهداف الإستشراق:

بعد غوص المستشرقين في بحار الشرق و علومه المختلفة- باعتبارها سحرا فاتنا أضاء ضلام الغرب الحالك بأنواره الساطعة – فكان لا بد لهم من أن يستفيدوا كثيرا من جوانبه المشرقة لتاريخه، و تاريخ علومه التي ازدهرت في رحاب الحضارة الإسلامية، فحققت لهم معرفتهم باللغة العربية جانبا مفيدا في حل معضلاتهم التي تواجههم في دراساتهم اللاهوتية،و كذا القيم السامية المستوحاة من تعاليم الإسلام الجليلة...و غيرها من الفوائد ذات الزخم الكثير.

وردا لهذا الجميل، انصبت نوايا المستشرقين – إلاّ ثلة قليلة منهم – إلى الإساءة لهذا الصنيع، فبرزت غيرتهم من تفوق هذا الشرق عليهم و ترعرعت أحقادهم و دسوها في أبحاثهم و وسموها بالموضوعية بهدف كسب مصالح و أغراض متعددة من دينية و سياسية و عسكرية و اقتصادية و علمية و ثقافية و غيرها من المساعي الخبيثة.

1- الأهداف الدينية:

يعتبر الهدف الديني من أخطر أهداف الإستشراق،حيث يعمل على تحويل المسلمين عن دينهم و إشاعة الفرقة فيما بينهم حتى يقاتل بعضهم بعضا و يصارع بعضهم بعضا، و لتحقيق هذا الهدف، و هو إخراج المسلمين من الإسلام، لجأ الإستشراق إلى الأعمال الآتية:

أولا: التشكيك في رسالة محمد –صلى الله عليه و سلم- فجمهورهم ينكرون أن يكون محمد –صلى الله عليه و سلم- نبيا أوحي إليه و انزل عليه آخر الرسالات السماوية، و من أشد هؤلاء تعصبا و انحرافا "مرجليوث" و "لامنس"[45]، فالأول ألف كتابا عن حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم- ملئ بالأخطاء و يرجع ذلك إلى تعصبه و عدم فهمه للغة، أما "لامنس" فقد عمل على تحريف النصوص، و حرف تاريخ ميلاد الرسول –صلى الله عليه و سلم-، و حاول أ يرسم صورة مشوهة عن "فاطمة الزهراء –رضي الله عنها".

45- عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 119.

و قد أشار المستشرق "إيتان دينيه" في كتابه عن سيرة الرسول –صلى الله عليه و سلم- أن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي –صلى الله عيه و سلم- لبثوا أرباع قرون يدفعون، و يمحصون مزاعمهم حتى يهدموا ما تفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم- و مع ذلك لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد، بل إذا أمعنا النظر في الآراء الجديدة التي جاء بها المستشرقون، لا نجد إلا خلطا و خبطا، فلم يتوصلوا إلى فكرة صحيحة عن محمد –صلى الله عليه وسلم- سبب تعصبهم الديني.

ثانيا: إنكارهم كون القرآن كتابا منزلا من عند الله عز و جل، وحين يفحمهم ما ورد في القرآن من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية...مما يستحيل صدوره عن أمّي مثل محمد –صلى الله عليه و سلم- يزعمون أن محمدا استمدّ هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها.

يقول "جورج سيل": "أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن و المخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، و إن كان من المرجع –مع ذلك- أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، و هذا واضح في آن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك".

و هذه كلها مزاعم واهية لاحظ لها من العلم سند لها من الواقع، و إنما هي تخمينات و افتراضات لا تصل إلى درجة اليقين.[46]

ثالثا: إنكارهم أن يكون الإسلام دينا منزلا من عند الله تعالى، و إنما هو ملفق من الديانتين السابقتين اليهودية و النصرانية، و هم في هذا يخبطون خبط عشواء، و أشد المستشرقين حرصا على هذا الادعاء "جولدزيهر" و "شاخت"

إن المفروض أن الأديان السماوية ما دام مصدرها واحد أن تتلاقى و تتفق، و يدعم بعضها بعضا و أن يكون المتأخر متمما للسابق و هذه هي حقيقة الأديان السماوية: إن كل الأنبياء

[46]- عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص 119، 120، 121.

و الرسل الذي أرسلهم الله تعالى كانوا يدعون إلى الواحد الأحد الفرد الصمد، فكيف لا تتشابه هذه الأديان؟

إن ما بقي سليما من الأنجيل والتوراة لم يحرف كان نسخة من القرآن الكريم، أما الذي حرف فهو الذي وضعه البشر و من هنا يختلف و يتباين، و لهذا تخبط هؤلاء المستشرقين تخبطا كبيرا و تفهم ليل من الضلال الكبير، فغشي على عيونهم و طمس على قلوبهم.[47]

رابعا: التشكيك في صحة الحديث النبوي الأصل الثاني للإسلام، و قد أمر الله سبحانه و تعالى-صلى الله عليه و سلم- أن يبلغ رسالته إلى الناس في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾، **المائدة: 67.**

و تركزت شكوك المستشرقين في السنة حول تأخر تدوين الحديث فهم يرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا و ينقصوا في الحديث و في ضع أحاديث لخدمة أغراضهم، و لقد شك "جولدزيهر" في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم يرمي من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة و حفظها في الصدور و يرمي وراء ذلك إلى وصم السنة كلها بالاختلاف و الوضع على ألسنة المدونين.

و قد لخص مصطفى السباعي أهداف المستشرقين على النحو الآتي:

1- **إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم.**
2- **تعريف النصوص في كثير من الأحيان تعريفا مقصودا.**
3- **إساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف.**

47- عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص121 ، 122، 123.

4- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها: ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، و من كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، فهم يصححون ما يقوله الدميري في كتاب الحيوان، و يكذبون ما يرويه "ملك" في "الموطأ".[48]

إضافة إلى ذلك:

- غرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين و تمجيدها، و العمل على إضعاف القيم الإسلامية و تحقيرها حتى يتم لهم إفساد أبناء المسلمين و تحللهم ثم توجيههم لخدمة مصالحهم.

- إزالة الثقة بعلماء و أعلام الأمة الإسلامية، و ذلك لقطع الصلة بين المسلمين و ماضيهم و في المقابل تمجيد الشخصيات الغربية و تعظيمها ليسهل التأثير و الانقياد لهم.[49]

- تنصير المسلمين، أو ما يسمى بالتبشير، حيث يقول ليوبولد فايس: "إن هدف المبشرين هو إضعاف القيم الإسلامية عن طريق شرح تعاليم الإسلام و مبادئه شرحا يضعف المسلم في تمسكه بالإسلام و يقوي في نفسه الشك فيه كدين و كمنهج سلوكي".[50]

و إن كان هذا الهدف الديني لم يعد ظاهرا الآن في الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تماما، إنه لا يزال يعمل من وراء ستار بوعي أو بغير وعي، فمن الصعب على معظم المستشرقين أن ينسوا أنهم يدرسون دينا ينكر عقائد أساسية في المسيحية و يهاجمها و يفندها مثل عقيدة الصلب و الفداء، كما أنه من الصعب أيضا أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد مضى على المسيحية في كثير م بلاد الشرق و حل محلها.

48- عبد الرحمن عميرة: "الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق"، ص123، 124، 125.

49- بحوث و مقالات، "تعريف الاستشراق و أدافه"، نقلا عن موقع: http:/www.islamprophet.ws/cat/24

50- محمد جلاء ادريس" :الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 24.

يقول "برنارلويس": "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين و مستترة في الغالب وراء الحواشي المرسومة في الأبحاث العلمية".[51]

و بالتالي يكون هذا الهدف الديني هو الهدف المرتكز عليه من قبل المستشرقين عامة.

2)-الأهداف العلمية:

كان الغرض الأول من دراسة المشرقيات هو استفادة الغرب من علوم الشرق و آدابه، فقد رأت أوروبا أنها لا تستطيع أن تنهض و تتخلص من الحكم العربي المسيطر على أوروبا إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون فتوحهم و حكمهم.[52]

و بالتالي فأن رجوع المستشرقين إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية، عرفت حقيقة أهمية هذا الهدف.[53]

و ينقسم هذا الهدف إلى قسمين: هدف علمي خالص وهدف علمي مشبوه.

أ- هدف علمي خالص لا يقصد منه إلا البحث و التمحيص، و دراسة التراث العربي و الإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، و هذا الصنف قليل عدده جدا، و هم من إخلاصهم في البحث و الدراسة لا يسلمون من الأخطاء و الاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية و النفسية و الزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، و بين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها.

ب- أما المشبوه فيتمثل مثلا في التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، لتظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم و سلطانهم الأدبي علينا، و تشكيكهم في

---

[51]- محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، ص 75، 76.

[52]- عبد المتعال محمد الجبري: " الاستشراق وجه الاستعمار الفكري - دراسة في تاريخ الاستشراق و أهدافه و أساليب الخفية في الغزو الفكري الإسلام: "مكتبة وهيبة، القاهرة، ط1، 1995م، ص 16.

[53]- مازن مطبقاني: "الاستشراق" نقلا عن موقع: www.alagidah.com/vb/shawthread:2382

غنى الأدب العربي، و إظهاره مجدبا فقيرا لنتجه إلى آدابهم، و ذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه.[54]

3- الأهداف السياسية و الاستعمارية:

ظهرت الأهداف السياسية و الاستعمارية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر و العشرين كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، و أن تدرس آدابهم و دينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات و يحكمونها.[55]

كما ساهمت في إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، و بث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم و عقيدة و مثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، و نشر ثقافته الحضارية فيما يتعلق، فيكونوا عبيدا لها، يجرهم حبها إلى حبهم أو إضعاف روح المقاومة في نفوسهم.[56] و كذا إحياء النعرات القبلية، و العصبيات المذهبية، و النزعات الطائفية و العقائدية، و إثارة الخلافات، لتفريق وحدة المسلمين، و إضعاف روح الإخاء بين المسلمين، و إثارة اللهجات العامية و ذلك بالتشكيك في اللغة العربية و مصادرها.[57]

و بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة البريطانية أن نفوذها في العالم الإسلامي بدأ ينحسر فكان لابد من الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية فكلفت الحكومة البريطانية لجنة حكومية برئاسة الايرل سكاربورو Scarbrough لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية، و وضعت اللجنة تقريرها حول هذه الدراسات العربية و قدمت فيه مقترحاتها لتطوير هذه الدراسات و استمرارها.

---

[54]- مصطفى السباعي: "الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)"، ص 29، 31، 32.
[55]- محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، ص 78.
[56]- مصطفى السباعي: "الإستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)"، ص 31.
[57]- بحوث و مقالات، "تعريف الاستشراق و أهدافه" نقلا عن الموقع http:/www.islamprophet.ws/cat/24

و مما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاستعمارية (رغم انحسار الاستعمار العسكري) أن الحكومة الأمريكية مولت عددا من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية، و ما زالت تمول بعضها إلا تمويلا كاملا أو تمويلا جزئيا وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية و سياستها.[58]

4- الأهداف الاقتصادية و التجارية:

تأتي الأهداف الاقتصادية في الأهمية تالية للأهداف الدينية، كما تأتي تالية لها زمنيا، فلقد كانت الحروب الصليبية ذات طابع ديني –اقتصادي، فارتبط النشاط الاستشراقي بهذه الحروب إلى درجة كبيرة، و يدين لها بالفضل في تطويره و اتساع آفاقه، و عمق توجهاته.[59]

و برزت هذه الأهداف بصورة أوضح في مراحل الاستشراق خلال العصر الحديث.

فعندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية و الصناعية و الحضارية و كانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضاعتهم[60]، و من أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، و التعرف عليها و دراسة جغرافيتها الطبيعية و الزراعية و البشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد.[61]

و حتى هؤلاء الذين قاموا بنشاط استشراقي ذي طابع علمي بحت، وجدنا في مقابلهم آخرين قد استغلوا مثل هذا النشاط بهدف تحقيق مصالح اقتصادية، فراح هذا الفريق يشجع مثل هذه الدراسات، للعمل على نشرها في العالم –شرقه و غربه- و جني الأرباح الطائلة من وراء بيع هذه الدراسات، و ليس أصدق على ذلك من تلهف المكتبات العربية و الإسلامية حتى يومنا هذا، وسعيهم الدءوب للحصول على موسوعاتهم و معاجمهم و حولياتهم و كتبهم

[58]- مازن مطبقاني: "الاستشراق" نقلا عن موقع: www.alagidah.com/vb/shawthread.Php?t:2382
[59]- محمد جلاء ادريس" :الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 29.
[60]- مازن مطبقاني: "الاستشراق" نقلا عن موقع: www.alagidah.com/vb/shawthread.Php?t:2382
[61]- محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري"، ص 77.

الصادرة حول تراثنا و ديننا و حضارتنا، فما من مكتبة عربية إلا و تتباهى على رفوفها بدائرة المعارف الإسلامية، و المعجم الفهرس لألفاظ الحديث النبوي، و تاريخ الأدب العربي لبروكلمان و غيره من مئات الدراسات التي حققت فائدة اقتصادية كبرى للمؤسسات الإستشراقية الغربية.[62]

و لم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق، فإن هذا الهدف ما زال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم مازالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، و لذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية (لويد و بنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية و لكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد و السياسة على كيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي، و من الطرف أن شركة الخطوط الهولندية تقدم لكبار موظفيها الذين يتفاوضون مع الشركات العربية الإسلامية دراسات من هذا النوع حتى يتعرفوا إلى العقليات التي يتفاوضون معها و إلى خلفياتهم الاجتماعية و الدينية و الثقافية.[63]

4- الاهداف الثقافية:

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقا من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها الشعوب الأخرى، و من أبرز المجالات الثقافية نشر اللغات الأوروبية و محاربة اللغة العربية، و صبغ البلاد العربية و الإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، و قد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط، فأسس المعاهد العلمية و التنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي و سعي إلى نشر ثقافته و فكره من خلال هؤلاء التلاميذ، و قد فكر نابليون في ذلك حينما طلب من خلفيته على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ و رؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا، "يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية، و يعتادون على تقاليدهم

62- محمد جلاء ادريس" :الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 30.
63- مازن مطبقاني: "الاستشراق" نقلا عن موقع: www.alagidah.com/vb/shawthread.Php?t:2382

و لغتنا و لما يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم"، و لم يتم لنابليون ذلك و لكن لما جاء "محمد علي" أرسل بعثة من أبناء مصر النابهين يقودهم"، و قد قال "محمود شاكر" إن هؤلاء "يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا و تقاليدها فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزبا لفرنسا و على مر الأيام يكبرون و يتولون المناصب صغيرها و كبيرها، و يكون أثرهم أشد تأثيرا في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر".

و قد حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري بعدة طرق ذكرها "السيد محمد الشاهد" فيما يلي:

1- التعليم من حيث المنهج و من حيث المادة العلمية...

2- و في مجال الإعلام: تستغل كل وسائل الإعلام المتاحة وخاصة أفلام السينما و التلفاز (تأثير غير مباشر).

و ظهر الهدف الثقافي من خلال الدعوة إلى العامية و إلى محاربة الفصحى و الحداثة في الأدب و الفكر حيث نادى البعض بتحطيم السائد و الموروث و تفجير اللغة و غير ذلك من الدعوات، و قد بلغ من ثقتهم بأنفسهم في هذا المجال أن كتب أحده يتوقع أن لا يمر وقت طويل حتى تستبدل مصر باللغة العربية الفرنسية كما فعلت دول شمال أفريقيا.[64]

6- أهداف نفسية:

يتمثل هذا الهدف في رغبة الإنسان في المعرفة والإطلاع و معرفة حياة الآخرين و أفكارهم، تلك الرغبة التي تكلف الإنسان كثيرا من وقته و جهده و إمكاناته، لإشباع حاجة نفسية، تماما كذلك الرجل الذي يتسلق حبلا عاليا وعرا، تاركا عمله الأساسي، و متجشما من المصاعب مل لا يحتمل، بل قد يدفع حياته ثمنا غاليا لتحقيق هذه الرغبة في الوصول إلى القمة الجبل، و لا ينبغي من وراء ذلك مصلحة مادية بعينها، و إنما هو يسعى لمعرفة مجهول

[64]- مازن مطبقاني: "الاستشراق" نقلا عن موقع: www.alagidah.com/vb/shawthread.Php?t:2382

و إشباع نزوة، و ما أكثر هؤلاء الذين تحركهم النزوات على مر التاريخ.

كما يدخل في إطار ذلك رغبة البعض في تحقيق مكسب خاص به، كربح مادي، أو سمعة و شهرة، أو حبا في السيطرة، أو نشر أفكار بعينها.[65]

و لكن رغم هذا التباين في الأهداف و المساعي من سياسية و عسكرية، و دينية و اقتصادية و ثقافية و نفسية، و التعدد في اتجاهات أصحابها إلا أنهم يتحدون في جملة من الأهداف.

"فالكل يرمي إلى "مواجهة" الشرق، و التعرف على السبل المناسبة لذلك و إعادة صياغتها على النمط الأوربي، و فضلا على ذلك كله، تحقيق المكاسب الاقتصادية منه، و المواقع العسكرية فيه، و لذا فإن مساعيهم إلى الوقوف على تاريخه و واقعه، إنما هو بغرض فهمه من جهة و بغرض التعرف على النواحي الضعف و القوة فيه.

و بالتالي فالاستشراق حركة شاملة في أوربا لا تنحصر في قطر دون آخر، و على اختلاف الأوروبيين، فإنهم يتكاملون بل يشكلون مدرسة واحدة، و إن تعددت الاتجاهات و الأهداف".[66]

[65]- محمد جلاء ادريس" :الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية"، ص 36.
[66]- إسماعيل أحمد عمايرة: "بحوث في الإستشراق و اللغة"، ص 428.

أولا: الوسائل المعتمدة من طرف المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

لقد حقق الإستشراق منذ نشأته جملة من الوسائل من اجل تحقيق أهدافه من بينها:

1- إرسال البعثات العربية إلى أوروبا:

لما تولى محمد على عرش مصر ظل يرقب الصراع الذي كان يدور فيها بين الأتراك و الإنجليز و المماليك، و أيقن بدهائه أن مستقبل البلد يتعلق بقوة الشعب بما يهدف القوى الثلاث فوقف في صفه بكل ما كان له من بصيرة نافذة و بدأ بإنشاء المدارس المختلفة في أنحاء مصر، و بإرسال البعثات العلمية إلى الغرب، حتى أصبح في نظر المجتمع "مجددا" لأنه لم ينهج منهجهم بالكامل فقد كان يعلم جيدا أن معارفهم الحديثة قد وضعت في الكتب التي ألفها علمائهم من هذا الصنف أو الأخر، و استمرت هذه البعثات حتى الآن بأعداد متزايدة، و كل ما يتتبع مثل هؤلاء سيتضح له بالضرورة أنهم قد تتلمذوا على أيدي المستشرقين و تأثروا بهم.[1]

2- حضور العرب في مؤتمرات الإستشراق:

لقد بدأت دوائر الإستشراق تتعدد مؤتمراتها الدولية منذ مائة عام تماما، و قد عقد أخرها في يوليو 1973م، بمناسبة احتفالها بالعيد المئوي، حيث حضره أربعة ألاف عضو، و كان من توصياته إنشاء تحديات جديدة فرعية، و اتخاذ اللغات القديمة و الدراسات الإسلامية و الهندسية مكانا هو القاهرة، و خلال القرن حضر هذه المؤتمرات عدد كبير من علماء الدين حيث قاموا ببحوثهم أمام أعضائها و شاركوا في أعمالها و ناقشوا مسائلها التي أثارت أصحابها حول الإسلام و القرآن و الرسول –صلى الله عليه و سلم- و اللغة العربية و تاريخ العرب و آدابهم ثم عادوا بانطباعهم إلى بلادهم.[2]

[1] - احمد سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق و اثرها في الادب العربي الحديث , ص 545-544 .
[2] -المرجع نفسه , ص 546.

و مما لاشك فيه أن الذين يحضرون مثل هذه المؤتمرات لابد أن يتأثروا بها و بما يدور من سجلات و أفكار و دراسات و خاصة أولئك الذين يحضرونها أكثر من مرة مثل: "كرد علي" و "أمين الخولي" و "إبراهيم مذكور" و غيرهم.

3- إلقاء المحاضرات في الجامعات و الجامعات العلمية:

و من المؤسف أن أشد خطرا و عداءا للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية و الإسلامية لإلقاء بحوثهم التي تتضمن أفكارهم المسمومة ضد الإسلام و المسلمين في البلاد الإسلامية، يقول بعض المفكرين الإسلاميين: "هذا من تقلبات الدهر و عجائب أمره، لقد مر على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال للأندلس ليتعلموا كتابهم المقدس –التوراة- من علماء المسلمين، أما الآن فقد إنقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون و أسفاه يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا و أمريكا) يسألونهم ما هو الإسلام ؟ و ما هو تاريخه؟ ليس هذا فقط بل أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم و يستوردنهم لتدريس التاريخ الإسلامي....."[3]

4- التحقيق و النشر و إصدار الكتب:

لقد حرض الإستشراق منذ بدايته على نشر الكتب التي تتناول الإسلام من جميع جوانبه عقيدة و شريعة و تاريخا و سيرة و تناولت هذه الكتب الأحوال الاجتماعية في العالم الإسلامي في مختلف العصور.

و لعل أشهر دور النشر هذه على سبيل المثال جامعة "أوكسفورد" التي تطبع مئات الكتب كل عام حول العالم الإسلامي و قضاياه المختلفة كما أن الجامعات الأوروبية و الأمريكية لها

[3]- عمر عودة الخطيب: لمحات من الثقافة الإسلامية، ص 206، 207.

دور نشر نشطة تقوم بجهد يوازي إن لم يتفوق على نشاط دور النشر التجارية البحثة و من الكتب التي طبعتها جامعة "أوكسفورد" نجد على سبيل المثال:

- موسوعة أوكسفورد للعالم الإسلامي الحديث، و تتكون من أربع مجلدات تتألف من 1840 صفحة.

- فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث و قابلوا بين النسخ المختلفة و لاحظوا الفروق و أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها، و قاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الأحيان الكتب شرحا مفيدا.

و هكذا استطاعوا أن ينشروا عددا كبيرا جدا من المؤلفات العربية، كانت عونا كبيرا للباحثين الأوربيين من المستشرقين و غيرهم من بلاد الشرق، و قد عرفنا الكثير عن كتب التراث محققا على أيديهم[4].

5- التعليم الجامعي و البحث العلمي:

و ذلك من خلال فتح الأقسام الجامعية التي تعني بدراسة العالم الإسلامي، و كذا مراكز البحوث الخاصة، بل و فتح جامعات أوروبية و أمريكية في البلاد العربية الإسلامية و من أبرز هذه الجامعات الجامعة الأمريكية التي أصبح لها العديد من الفروع في القاهرة و في بيروت و دبي و في الشارقة و إسطنبول و غيرها[5].

6- ترجمة أعمال الإستشراق إلى العربية:

كان لنقل أعمال الإستشراق إلى العربية تأثير كبير في أدبنا المعاصر مما أدى إلى تمكن عدد ضخم من قراء العربية أن يطلعوا عليها و يتناولوها و على الرغم من عدم وجود هيئة معنية تتولى تتبع هذه الأعمال و دراستها، فإن المحاولات الفردية قد استطاعت أن تعوضنا عن ذلك في أكثر الأحوال.

---

[4]- أنور محمد زناتي، زيارة جديدة للإستشراق، ص 77، 78.

[5]- المرجع نفسه، ص 88.

و منذ أن بدأت ترجمتها من لغاتها الأصلية إلى لغتنا العربية أخذ تأثيرها ينفذ إلى الفكر و الثقافة و الأدب حتى كاد يسيطر عليها جميعا بالقوة التي كان يملكها، و قد حدث هذا منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث بدأت مواجهة صريحة بين الفكر العربي الإسلامي الصيل من جانب و الفكر الإستشراقي الدخيل من جانب أخر.

و من خلال كل هذه العوامل و الوسائل تبين لنا أن أثر المستشرقيين لم يقف عند الغرب وحده بل إمتد إلى الشرق فأخذ عنهم الشرقيون كثيرا من أرائهم و ترجموا بعض كتبهم و بدأوا يتأثرون بخطابهم، و أسهموا بدورهم في إحياء مجدهم.[6]

[6]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 547.

ثانيا: ميادين تأثير الإستشراق

لقد توضح لنا من قبل أن الإستشراق قد عنى بكل ما تعلق بالشرق عامة و بوجه خاص و بحث في كل ما يتعلق بالإسلام بوجه خاص حتى يبدو و كأن نشاطه كله قد إنحصر في دراسة حضارة العرب أثارهم و فلسفتهم و فنونهم و دينهم و لغتهم و أدبهم على السواء و منذ البداية لابد أن نؤكد أن أثر الإستشراق في الأدب العربي الحديث ينحصر في ثلاثة ميادين رئيسية منها:

1- تحقيق مخطوطاته.

2- دراسة أدبه.

3- إتجاه نقده.

و قد يذل المستشرقون في كل الميادين على عدة جهود جبارة يجب الاعتراف بها و الشكر عليها[7].

1- تحقيق مخطوطاته:

لقد بات لنا واضحا مدى عناية الإستشراق بالتراث العربي الإسلامي و مدى أهمية عنايته هذه في نهضة الأدب العربي في العصر الحديث و تأكد لدينا ضخامة علمه و عظمة جهوده.

و من بين البديهيات العلمية التي يؤكدها الجميع أنه لا توجد أمة غير الأمة العربية تملك هذا التراث الضخم مثلما تملكه هي من مطبوع و مخطوط، و ما يمكن إغفاله أو إنكاره هو دور علماء الإستشراق في وضع القواعد الأساسية للسير عليها في نشر المخطوطات و تحقيقها معتمدين على المبادئ التي توصل إليها علماء الأداب الكلاسيكية في أواسط القرن التاسع عشر.

[7]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 548، 549.

و قد استخدم المستشرقون هذه المبادئ في إحياء الكتب العربية و إن لم يؤلف فيها تأليفا خاصا إلى أن جاء المستشرق "براجستراسير" فألف هذا الفن من خلال محاضراته التي ألقاها بسنين قبله محمد مندور عن هذا الموضوع فناقش أصوله في التحقيق من خلال نقده لكتاب "قوانين الدواوين" و الذي قام بتحقيقه عزيز سوريال عطية و نشرته الجمعية الزراعية بإشارة عمر كوسون، حيث درس الاتجاه العام لأصول التحقيق باحثا في أثناء ذلك مشكلة المصادر المباشرة و غير المباشرة، ثم قراءة النص و غيرها من المعضلات العلمية التي تتعلق بهذه الأصول.

و نشر بعد بوقت، "باشيروسوفاجيه" كنابهما بالفرنسية في هذا الموضوع بعنوان قواعد نشر النصوص العربية و ترجمتها".

و نشر عبد السلام هارون مؤلفه في موضوع نفسه بعنوان "تحقيق النصوص و نشرها" الذي قال عنه أنه أول كتاب عربي في مثل هذا الفن ...ثم جاءت عائشة عبد الرحمن فأصدرت كتابها "مقدمة في المنهج" تناولت فيه بعض قضايا نشر النصوص و تحقيق المخطوطات منبهة لفضل علمائنا القدماء في هذا المجال.

و بعد الإشارة إلى هذه الأعمال يحسن بنا دراسة تأثير براجسترايسر و عبد السلام هارون و صلاح الدين المنجد التي ستمكننا من رؤية تأثير الإستشراق في هذا الميدان بالذات.

أما براجسترايسر فقد وزع مادة محاضراته التي قام بإعدادها محمد حمدي البكري على أربعة موضوعات رئيسية هي: النسخ و النص و العمل و الإصلاح[8].

أما عبد السلام هارون، فقد إستطاع أ يؤلف بعد تمدرس طويل في عالم المخطوطات وجها متصلا في تحقيق النصوص و تجارب عديدة في إحياء التراث كتابا يعتز به إذ هو أول

[8]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 550.

كتاب عربي يظهر في عالم الطباعة معالجا هذا الفن العزيز: فن تحقيق النصوص و نشرها[9].

أما صلاح الدين المنجد فقد وضع مؤلفه المذكور بعد تجربة جد غنية في ميدان التحقيق استخلص من خلالها قواعده التي أفاد منه الطلبة و المعنيين بالمخطوطات و وجد فيها دليلا واضحا سهلا لا تعقيد فيه و قد قدمها إلى مؤتمر المجامع العلمية بدمشق عام 1956م الذي حولها إلى لجنة التراث العربي حيث درست هذه القواعد ورأت الموافقة عليها لتكون دليلا للمحققين عندما ينشرون النصوص القديمة[10].

و من خلال كا ما تقدم يتبين لنا بعض الأمور الهامة للغاية منها:

أولا: أن المستشرق براجستراسير قد عالج مشكلة تحقيق النصوص و منهج دراستها و طريقة نشرها بتوسع أكثر و أنه كان أعمق سيرا بها.

ثانيا: إن المحقق عبد السلام هارون قد توصل إلى حل مشكلة تحقيق النصوص و نشرها على أساس المنهج العربي الأصيل، دون الرجوع إلى علماء الإستشراق مما يزيد من فضله و قيمته و قدرته.

ثالثا: أن الباحث صلاح الدين المجند قد وضع قواعد دقيقة للغاية على طريقة حسابية يمكن السير عليها في مواجهة تحقيق المخطوطات و نشرها معتمدا على عوامل عديدة أهمها تأثره بالإستشراق.

رابعا: أنهم جميعا قد أقروا بما كان لإحياء التراث من أثر عظيم في الأدب العربي الحديث.

خامسا: إن هذا التأثير قد جاء عن طريق تحقيق المخطوطات و نشرها حيث لعب الإستشراق دورا رئيسيا في العصر الحديث لابد من الاعتراف بفضله و أثره.

---

[9]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 557.

[10]- المرجع نفسه، ص 559.

سادسا: إن علماءه قد أقاموا بإحياء ألاف من أمهات الكتب العربية الثمينة.

سابعا: عاد هذا الفن البالغ الأهمية إلى أصحابه العرب عن طريق المستشرقين و عن طريق إسهاماتهم في الأدب الحديث.

ثامنا: لقد تأثر العرب المحدثون بمنهج المستشرقين في تحقيق المخطوطات و لعب بعضهم مثل أحمد زكي باشا دور الوسيط في أخذ هذا الفن عنهم و نقله إلى العرب.

و هكذا يجب أن نقرر أثر الإستشراق في هذا الميدان إذ كان المستشرقون أول من نبه إلى أهمية المخطوطات التي تضم التراث الفكري للعرب القدامى فأخذوا يفتنون نوادرها و يعلمون على تحقيقها و نشرها وفق الأصول العلمية الصحيحة و بشكل يسهل الاستفادة منها. كما اهتموا بتنظيم الفهارس الوافية للتعريف بهذه المخطوطات التي تضمها خزائن كتبهم...و في بداية عصر النهضة الحديثة انتبه رجال الفكر في البلاد العربية إلى ضرورة إحياء التراث القديم الذي خلفه الأوائل و بدأو بتعقب المخطوطات و تجميعها والمحافظة عليها و أسهموا في تحقيقها و نشرها[11].

2- دراسة الأدب العربي:

لقد تبين لنا مما تقدم مدى أثر الإستشراق في أدبنا الحديث و المنهج العلمي السليم يتطلب منا الآن أن نكشف مزيدا من هذا التأثير.

و مما لاشك فيه مطلقا أن المسائل التي تعرضنا لها فيما سبق تؤكد ذلك تماما و هكذا نستطيع أن نفهم الأمر الذي جعل طه حسين يسأل منذ قرن و نصف: "كيف تتصور أستاذا للأدب العربي لا يلم و لا ينتظر أن يلم انتهى إليه المرجع من النتائج العلمية المختلفة؟". و لم يقف عميد الأدب عند هذا الحد فقط بل قال: "إنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس و لابد من التماسه من علومنا و آدابنا و تاريخنا." و قد حدث هذا حقا منذ قرابة ربع قرن و نصف.

[11]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 560، 561.

و من هنا يبدو هذا التأثير جليا و عظيما في الوقت نفسه، و قد حكى ذلك في كل ما يتصل بالأدب العربي و تاريخه، جمعه و تنظيمه، تأثره و تأثيره.

و هكذا تظهر أبرز النواحي لأثر الإستشراق في الأدب العربي و التي يتجلى في:

أ- التأريخ للعصور الأدبية.

ب- تأليف دائرة المعارف الإسلامية.

ت- الفهرسة للمعاجم العربية.

ث- البحث في تأثير الأدب العربي.

و إذا كان الأمر كذلك فلنبحث إذن أثر الإستشراق في الدوائر المذكورة على قيد الإمكان و الإيجاز[12].

أ- التأريخ للعصور الأدبية:

لقد حاول علماء الإستشراق أن يحيطوا الأدب العربي إحاطة كلية فبحثوا في كل ما يتعلق به معتبرين تاريخه أساسا لذلك، و من هنا واجهوا معضلة تأريخية و نشأته و تكوينه و منزلته و تطوره و أرادوا بذلك حل هذه المشكلة و لكي يقوموا بذلك كان عليهم أن يبدوا دراستهم للأدب العربي على أساس جديد و هكذا ذهبوا فقسموا هذا الأدب إلى عصور. و كأن هذا الأمر جديد فيه بوجه عام إذا لم يقم مؤرخوه القدامى بتقسيمه على هذا الأساس، بل كانوا يركزون جهودهم على وضع الأدباء في إطار تاريخي حسب مواليدهم حينا أو وفاتهم أحيانا أو مواضيع أدبهم.

و لذلك كله كان لمحاربة الإستشراق لدراسة الأدب العربي عن طريق تأريخه و تقسيمه إلى عصور مختلفة صدى جديدا فرضه عليه تطور الدراسات الأدبية في العالم. و هكذا أخذوا اتجاها جديدا في الأدب العربي أيضا، إذن فالمستشرقون هم الذين حلوا مشكلة التحقيق

[12]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 562.

في الأدب العربي الحديث، و تأثرهم بهم علماء العرب المحدثون كل التأثر[13].

و من هنا نرى "بروكلمان" brockelmann يقسم تاريخ الأدب العربي على خمسة عصور رئيسية هي:

1- عصر ما قبل الإسلام، و يبدأ من نقطة لا يمكن تحديدها حتى ظهور الإسلام.

2- عصر ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الأمويين عام 750م.

3- عصر الدولة العباسية حتى نهايتها على أيدي المغول عام 1258م.

4- عصر ما بعد سقراط بغداد حتى مجيء بونابرت إلى مصر عام 1798م.

5- عصر البعث الجديد في القرن الماضي حتى الحاضر.

و يختلف " فيكلسون" vickolson فيقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستة عصور رئيسية:

1- عصر ما قبل الإسلام و يبدأ من نقطة زمنية يصعب تحديدها حتى ظهور الإسلام.

2- عصر محمد صلى الله عليه و سلم و القرآن الكريم.

3- عصر الخلفاء الراشدين و الدولة الأموية.

4- عصر الدولة العباسية و خلفائها.

5- عصر العرب في أوربا و دورهم فيها.

6- عصر ما بعد الفتح المغولي حتى عصرنا الحاضر.

و يذهب "نالينو" naleluno فيقسم تاريخ الأدب العربي إلى ستة عصور أيضا و هي:

1- العصر الجاهلي مبتدئا بزمن يصعب تحديده إلى ظهور الإسلام.

2- العصر العربي الإسلامي منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الدولة الأموية عام 750م

[13]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 563.

3- العصر العباسي الأول.

4- العصر العباسي الثاني من عام 1058م إلى سقوط بغداد على أيدي المغول عام 1258م

5- عصر الانحطاط يبدأ من عام 1258 حتى عام 1805م

6- عصر البعث الجديد و يبدأ من جلوس محمد علي بك على عرش مصر عام 1805م و يستمر حتى الآن[14].

و قد تبين لنا مما تقدم ذكره أن الاختلاف بين هؤلاء كما هو الحال نفسه بين غيرهم فيما تعلق بتحقيب الأدب العربي بسيط للغاية و أنهم و سواهم من زملائهم يأخذون عنصر تحولات السياسة أساسا للقيام بتقسيم تاريخ الأدب العربي نفسه إلى تلك العصور التي تبناها علماؤنا المحدثون و أفردوا مؤلفاتهم الخاصة بكل عصر من عصوره.

ب- تأليف دائرة المعارف الإسلامية:

1- ظهورها و موضوعها:

أمام ظهورها فقد كان بفضل جهد علماء الإستشراق في العالم بأسره و لابد أن نعتبرها أكبر عمل قاموا به على الإطلاق، و قد استهدفوا بإخراجها أن يجمعوا معلوماتهم و أبحاثهم و أفكارهم في مؤلف واحد شامل يحيط بكل ما يتعلق بالإسلام و العرب و القرآن، و لم يأت مؤلفهم هذا اعتباطا بل أعدوا له قرابة عشرين سنة أو يزيد، إذ بدأت فكرته تراودهم منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث أخذوا يجمعون المواد و يوزعون جميعا على العلماء و يرتبونها حسب الهجاء.

2- منهجها و قيمتها:

أما منهجها فيعتبر مثالا لا يتحذى به، إذ عني أصحابها بتوزيع كتابة مادتها على المتخصصين فيها الذين لهم خبرة طويلة في بحثها، و سير أغوارها و النظر إليها و قد إتبع

[14]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 564، 565.

منهجا أبجديا في إخراجها مما يسهل أمر البحث فيها و الرجوع إليها و الاستفادة منها.

أما قيمتها فترجع إلى شموليتها أكثر منها إلى موضوعيتها، إذ جمع أصحابها أغزر مادة كان يمكن جمعها من أهم المراجع و يقلل قدر موضوعيتها العلمية في نظر مؤلفيها في أحايين كثيرة نظرة غير موضوعية و غير النظرة الإسلامية كما شابوا مسائل عديدة بالتعصب، كما فعل الأب "لامنس" و أمثاله مما يوجب أن يكتب الموضوع من جديد و من غير تحيز[15].

3- ترجمتها و تأثيرها:

أقبل العرب على ترجمتها بشغف قبل إنتهاء أصحابها من إخراجها، إذ بدأو ينقولونها إلى لغتهم قبل إصدارها كاملة بلغاتهم الأصلية الإنجليزية و الألمانية و الفرنسية و لو حاولنا استعراض أهم المؤلفات التي نقلت إلى العربية في عصرنا الحالي لوجودنا في صدارتها "دائرة المعارف الإسلامية" التي قام بإعداد ترجمتها "إبراهيم زكي كورشيد" و "أحمد الشنتاوي" و "عبد الحميد يونس". و إن دل هذا العمل الجبار على شيء إنما يدل على استعدادهم للتحدي و الجهد و التضحية في سبيل إيمانهم بدينهم و أدبهم و لغتهم على السواء، و كل ما عانى مشقة الترجمة من لغة إلى أخرى لابد أن يقف أمام هؤلاء الثلاثة بإجلال... و كل هذا و ذاك يدل على مشقة عمل المترجمين الذين قدموا إلى أمتهم و فضلهم الذي أسدوه إلى أدبهم[16].

ت- الفهرسة للمعاجم العربية:

إن تصنيف كل ما تقدم ذكره من أثر الإستشراق في الأدب العربي المعاصر يرجع إلى المعجم العربي و إسهام علمائه في تبويبه و ترتيبه على السواء.

[15]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 568.
[16]- المرجع نفسه، ص 569.

و على الرغم من ذلك فإن واجب العلم يقتضي أن تؤكد ما قاله "هيفود" الذي بحث فيه المعجم العربي يقول "الحقيقة أن العرب في مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث بالنسبة للشرق و الغرب سواء بسواء"[17].

و ليست هذه الحقيقة من نسيج خيال "هيفود" بل هي تعبر عن الواقع حقا لأننا استثنينا الصين مثلا لا نجد شعبا أخر يحق له الفخر بوفرة كتب العلوم و اللغة و بشعوره المبكر إلى حاجاته في تنسيق مفرداتها.

عند العرب نهوضا مبكرا ملؤه النشاط و الحاجة إلى التفرقة بين الفصيح و مختلف اللهجات و بينه و بين اللغة الفارسية، ذلك فضلا عما للعرب من نزعة إلى التفقه في اللغة و التي تجلت مبكرة في تفسير القرآن هو في دراسة لغوية"[18].

3- البحث في تأثر و تأثير الأدب العربي:

لقد فرق الفتح العربي للبلاد التي أهلها يتكلمون اللغات المختلفة و ما تبع ذلك من سيطرة اللغة العربية عليها جميعا. بين العهدين في تاريخ آداب هذه اللغات و تاريخ آداب اللغة العربية أيضا التي اضطرت بعد انطلاق أصحابها خارج حدودها الأولية أن تسعى وراء كل ما هو مفيد و جديد بالنسبة لها استجابة لحاجتها الفكرية و العلمية و هكذا "أطل الأدب العربي على منافذ الثقافات العالمية و أشرف على منابعها يستلهمها و يلهمها، أجل الآيات و الروائع يؤثر فيها في القديم و الحديث و يتأثر بها و ذلك في عصور نهضته و ازدهاره"[19].

و الذي يهمنا هنا هو أمر تأثر هذا الأدب بآداب البلاد المفتوحة و علومها و نظر بعض المستشرقين إلى هذا التأثر و ما يستخرجون منه في أثناء كشفهم إياه و دراسته له.

---

[17]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 572.

[18]- المرجع نفسه، ص 572.

[19]- نفسه، ص 575.

4- في اتجاه نقد العربية:

لو وقفنا بأثر الإستشراق في النقد العربي الحديث عند هذا الحد لما أنصفناه مطلقا، بل علينا أن نتقدم بعض الخطوات لنرى نوعا أخر من أثره في اتجاه النقد العربي المعاصر، حيث نجد "هرجليوت" hargolouth الذي كان أول من رأى كل الشعر الجاهلي مصنوع[20].

و ما من شك في أن الناظر إلى ماراه "مرجليوت" يجد عجبا فهو مستشرق في غاية التعصب و يتجلى هذا في مقاله الشهير "أصول الشعر العربي" حيث يظهر تعصبه في أمرين:

أولا: الشك في الشعر الجاهلي كله، فهو منحول مؤلف بعد افسلام.

ثانيا: الطعن في الإسلام و عقائده و الرسول صلى الله عليه و سلم و وجيه.

و لاشك من هذا كله أن غاية هذا المستشرق و غيره ممن طعنوا في الإسلام و أساءوا إليه بشتى الطرق هو تحويل المسلمين عن دينهم و إشاعة الفرقة بينهم بل إذا أمعنا في أراء هؤلاء المستشرقين لا نجد إلا خلطا و خبطا فلم يتوصلوا إلى فكرة صحيحة عن الإسلام و عن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب تعصبهم الديني.

و يزعم المستشرق المجري "جولدزيهر goloziher" أن الإسلام دنس تطور عل يد المسلمين ذلك بكثرة الإضافات التي جعلت كيان هذا الدين يصل إلى حد لم يعرفه محمد و أول هذه الإضافات "السنة". فإن ألوف الأحاديث التي ثبت أن الرسول نطق بها "هي من صنع العلاء الذين أرادوا أن يجعلوا من الإسلام دينا كبيرا شاملا"[21].

---

[17]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 572.

[18]- عفاف سيد صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص 73.

و يقول "جوليان golyane" في كتابه (تاريخ فرنسا): "إن محمد مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، و أن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو. ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين و النصارى أن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة و قالوا للناس أسلموا أو موتوا بينما أتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم و إحسانهم ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا"[22].

و هو كغيره من المتعصبين الذين لا يهمهم إلا الطعن في الإسلام و تشويه محاسنه و تحريف حقائقه الدينية، و نسوا أن الإسلام هو دين الله للعالم كله لا يمكن أن يستأثر بفهمه قوم دون قوم فليفهم منه من شاء ما شاء بشرط أن يتحلى بصفة العلماء و هي الإنصاف و الإخلاص و البعد عن العصبية و الهوى.

[22]- يحي مراد، إفتراءات المستشرقين على الإسلام و الرد عليها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004، ص 280.

ثالثا: طبيعة تأثير الإستشراق في الأدب العربي الحديث

بعد أن برز أمامنا أثر الإستشراق في الأدب العربي الحديث يجدر بنا أن نتسائل عن طبيعة أثره فيه وردا على ذلك نرى أنه يجب علينا أن نرجع أثره إلى جانبين هامين أحدهما جانب منهجي و الأخر جانب موضوعي.

فأثره من الناحية المنهجية يكمن من قدرة الإستشراق على توجيه علماء العرب المحدثين إلى تحقيق مخطوطاتهم و إحياء تراثهم و تأريخ آدابهم و حملهم على الاهتمام بمعاجمهم و تنظيم مباحثهم و الإحاطة بأعلامهم و البحث في علومهم و النفاذ إلى تأثيرهم و مكانتهم في الفكر العالمي.

و هكذا درس المحدثون أدبهم على نهج "بروكلمان" و "ناللينو" و "نيكولسن" و "بلاشير" و "جيب" و "وكراتسكوفسكي" و "باليتيا" و "ادامز" و "مرجليوث" و "بلاتيوس" و "جولدزيهر" و غيرهم و حتى لما تكاد تخلوا جامعة عربية و إسلامية و لا باحث عربي و إسلامي في الفكر العربي و ثقافته من أثر هؤلاء و طريقتهم و منهجهم[23].

و هذا ما ظهرت نتائجه بوضوح مما قام بتطبيقه "أحمد جنيف" و "طه حسين" ممن درسوا في فرنسا أو "عبد الرحمن شكري" ممن درسوا في إنجلترا أو ما أخذه من اتصل بالمستشرقين في المعاهد كا "أمين خولي" أو من نقلو هذه المذاهب من غيرهم كا "لمازني" و "العقاد"[24].

[23]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 606.
[24]- أنور الجندي – خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1975،ص 235.

و أما من الناحية الموضوعية فقد أثار المستشرقون مسائل كثيرة أثارت بدورها اهتمام عدد من علماء العرب المحدثين فكانت موضوع مؤلفاتهم و بحوثهم و دراستهم و لن تذهب أبعد من القرن التاسع عشر حيث كان لقاء "الطهطاوي" مع المدرسة الإستشراقية الفرنسية و اتصاله الدائم بعميد المستشرقين البارون "سلفستردي ساس" و تلاميذه أمثال "كوسين بارسوال" و "جوزيف رينو" أول لقاء للعقل العربي مع دراسات المستشرقين الفرنسيين و لقد أثار الجانب الديني و العلمي عند هؤلاء المستشرقين اهتمام الطهطاوي.

و كل من يقرأ كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" يلاحظ هذا كاه بوضوح إذ عدد الطهطاوي بعض الكتب العربية مثل " تقويم البلدان" لأبي الغداء و "نزهة المشتاق" للإدريسي و "خريدة العجائب و فريدة الغرائب" للوردي و "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" لإبن إياس و غيرها التي طبعت في أوروبا و هكذا يتضح أن الطهطاوي عرف كثيرا من الكتب العربية أثناء إقاممته بباريس وهي الكتب التي اهتم المستشرقون الأوروبيون بنشرها و ترجمتها و بهذا عادت رحلة الطهطاوي بعدة ثمار علمية منها معرفته بجهود المستشرقين في نشر التراث العربي إلى جانب هذا عرف الطهطاوي دراسات المستشرقين في اللغة العربية و آدابها و خصص عدة صفحات من كتابة لجهود دي ساسي في التراث العربي[25].

و الدكتور "طه حسين" لا يتوقف لحظة و لا يستحي مرة من أن يعلن تبعيته الواضحة لأراء المستشرقين و خضوعه لمناهجهم في البحث و هو لا يخضع لمنهج واحد و إنما تتشكل كتبه بالخضوع للمذاهب المختلفة، فهو خاضع تارة للمذهب الاجتماعي خضوعا كاملا للبيئة و العصر و هذه تبدو واضحة في دراسته عن "أبي العلاء" في القاهرة قبل أن يسافر إلى باريس.

---

[25]- أحمد سمايلوقتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 607.

و هناك أيضا خضوعه الواضح "لبلاشير" في دراسته للمتنبي و خضوعه لـ "دوركايم" في دراسته عن ابن خلدون" [26].

و يؤكد على تأثر صه حسين بالمستشرقين فيقول: "و الواقع أن الدكتور طه حسين دخل ميدان الشعر العربي كباحث و في أذنيه ما اعتاد أن يقوله كل من "نول دكه" و "مرجيليوث"، و هو أن أضاف للعرب قبل الإسلام من الشعر ما ليس لهم"[27].

و من الجلي أنه في وسعنا أن نخطو خطوات أخرى لندرس بالطريقة نفسها كل من تأثر بالإستشراق من كتاب العرب المحدثين أمثال "أحمد أمين" و "زكي مبارك" و "محمد كرد علي" و "منصور فهمي" و "عباس محمود العقاد" و "أمين خولي" و "أحمد حسن الزيات" و "مجمد منذور" و "مالك بن نبي" و غيرهم و لكن سنتخطى هذا الموكب العظيم الذي أصدي إلى أدبنا المعاصر و لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر "سهير القلماوي" التي درست أدب الخوارج بتوجيه من أستاذها طه حسين الذي يعلن صراحة عن تأثرها بالإستشراق حين يقول: " وجهتها إلى دراسة أدب الخوارج حين أن تعد رسالتها لدرجة الماجيستر، فلما ظفرت بهذه الدرجة أبيت إلا أن تسافر إلى أوروبا لتلقى جماعة المستشرقين، و اختلفت إلى دروسهم و استرشدت بهم في بحثها و زارت المكتبات...ثم عادت إلى مصر و درست ألف ليلة و ليلة جادة إلى أقصى الحدود...حتى أتمت هذا الكتاب..."و يدل على صدق كلمات عميد الأدب العربي كتاب سهير القلماوي المذكور من أوله إلى آخره و خاصة قسمة الأول، حيث عالجت موضوع ألف ليلة و ليلة في الشرق و الغرب مؤكدة اهتمام الإستشراق بهذا الأثر العربي العظيم و مجهود أصحابه في القرنين في البحث28.

---

[26]- أنور الجندي – خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1975،ص 235.

[27]-سعد ظلام، من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي، دار المنار للطباعة و النشر، مكتبة الأسد، دمشق، ط2، 1992، ص 616.

[28]- أحمد سمايلوفتش: "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 618.

بدأ الإستشراق كما رأينا بدراسة اللغة العربية و الإسلام و انتهى إلى دراسة جميع ديانات الشرق و عاداته و حضارته و جغرافيته و تقاليده و أشهر لغاته، و إن كانت العناية بالإسلام و الآداب العربية و الحضارة الإسلامية هي أهم ما يعني به المستشرقون حتى اليوم، نظرا للدوافع الدينية و السياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية.

و ختاما فكوني دارسا و باحثا فقد انتهى بي المطاف عند هذه النتائج :

1- كلمة استشراق مولدة عصرية و التي يعني فعلها "استشراق" في اللغة طلب علوم الشرق و لغاته "أو أدخل نفسه في أهل الشرق فصار منهم و تعني في الاصطلاح" دراسة الغربيين لتاريخ الشرق و لغاته و أدابه و علومه و عاداته و معتقداته" و أثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعلوم كلها.

2- تباينت الآراء حول نشوء "الإستشراق" و يرجع ذلك كونه ولد في أحضان بلاد الندلس جراء الاختلاط الذي حدث بين المسلمين و الغربيين و محاكاة الغرب لعلوم العرب و التأثر بحضاراتهم و علومهم.

3- لقد أولى المستشرقون عناية بالآداب العربية فترجموا علوم العرب إلى لغاتهم و قاموا بطبع الكتب العربية و أنشئوا جمعيات و أكاديميات و أقاموا المؤتمرات....

4- بحث المستشرقون في كل ما يعلق بلغات الشرق و آدابهم و اهتموا بلك ما فيه من عادات و تقاليد و اتجاهات و أجناس و أفكار كما نشطوا في دراساتهم و بحوثهم العربية و الإسلامية بدرجة عالية.

5- تعددت دوافع الإستشراق و ذلك حسب المراحل التاريخية التي مر بها الدينية التي كانت الدافع الأساس لنشأته و التي تهدف إلى تشويه سمعة الإسلام و التشكيك فيه و كذا التبشير و من الاستعمارية و الإيديولوجية التي تعد نقطة الخطر حيث تمثل في سيطرة العرب على بلاد العرب و تشجيع القوميات و إثارة الفتن و كذا الدوافع العلمية وهي الأكثر موضوعية.

6- تعددت المدارس الإستشراقية و تباينت في اتجاهاتها و تفردت كل منها بمميزات تخالف غيرها.

7- تعددت مناهج المستشرقين في دراساتهم فمنهم من أخذ من المنهج التاريخي الذي يهدف إلى ترتيب وقائع تاريخية و اجتماعية و التعريف بها و هناك من اعتمد المنهج الوصفي فكل رسم لنفسه منهجا مستقلا في دراسته و ذلك وفق ما تقتضيه طبيعة الدراسة.

8- انتهجوا أساليب و وسائل عديدة لبث أفكارهم و أرائهم المضللة و لبسط نفوذهم على الفكر العربي و من بين هذه الوسائل.

- إرسال البعثات إلى أوروبا.
- إلقاء المحاضرات و الجامعات و الجمعيات العلمية.
- التحقيق و النشر و إصدار الكتب.....إلخ.

في الأخير أحمد الله على تتمه هذا البحث و أسأله التوفيق و أرجوا أن يكون موضوعي هذا بداية لدراسات أخرى إن شاء الله.

قائمة المصادر و المراجع

1 – ابراهيم النملة(علي):-"الاستشراق فيالادبيات العربية"، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية ، ط، 1 1993 م

2_ادريس (محمد جلاء):-" الاستشراق الاسرئيلي في المصادر العربية " العربي للنشر و التوزيع _القاهرة ,1955 م

3_احمدابو الجندي (خالد):- " الجانب الفني في القصة القرانية (منهجها و اسس بنائها) " دار الشهاب للطباعة و النشر ، باتنة

4_الالوسي (عادل):- " التراث العربي و المستشرقون " دار الفكر العربي القاهرة ، 1، 2001م

5_ الجندي (انور):- "خصائص الادب العربي في مواجهة نظريات النقد الادبي الحديث " دار الاعتصام، القاهرة ،ط 1 ، 1975

6_دراسة (محمود):-" الاستشراق الالمانيا المعاصر و النقد العربي المعاصر "مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر و التوزيع ،عمان ،1 ، 2003

7_ زقزوق (محمود حمدي):-"الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1995

8_ زناتي (محمود انور):- " زيارة جديدة للاستشراق (مع دراسات للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول –ص- مكتبة الانجلو المصرية ط ،1 ، 2006

9_ سيد صبرة (عفاف):-"فلسفة الاستشراق و اثرها في الادب العربي المعاصر " دار الفكر العربي القاهرة

10 _سمايلوفيتش (احمد) :-"فلسفة الاستشراق و اثرها في الادب العرب المعاصر ",دار الفكر العربي

11 _ الشرياصي (احمد):-" التصوف عند المستشرقين "، سلسلة الثقافة الا سلامية 1961

12_ظلام (سعد):-"من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي"، دار المنار للطباعة و النشر 1992 مكتبة الاسد ، دمشق ، ط 2

13_العقاد(عباس محمود):-"اثر العرب في الحضارة الاوروبية "دار المعارف ، مصر ط 8 ، (د، ت)

14- عمايرة (اسماعيل احمد)"، المستشرقون المناهج اللغوية ،" دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2001

15- عمايرة (اسماعيل احمد) "، بحوث في المستشرقون و اللغة " ، دار وائل للنشر ، عمان الاردن ط1 2002

16- عودة الخطيب (عمر) "، لمحات في الثقافة الإسلامية " ، مؤسسة الرسالة، ط4 ، 1998

17- عراب (أحمد) الاستشراق رؤية إسلامية " ، دار الرسالة ط1 1990ه

18- العروخ (عمر) " ، الاستشراق بحث المستشرقين (ما لهم عليهم) " ، سلسلة كتب الثقافة المقارنة ، بغداد ، العدد 1 ، (د. ت).

19- القيومي (محمد إبراهيم) "، الاستشراق رسالة استعمار "، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1993.

20- التويهي (محمد) "، الشعر الجاهلي : منهج دراستة و تقومية "، دار القومية للطباعة و النشر ، (د.ت)

21- يحي (مراد) "، افتراءات المستشرفين على الإسلام و الرد عليها "، دار الكتب العلمية لبنان ط1 2004

فهرس الموضوعات